عين المدينة

نبنيـها معاً

في المدينة...

- طريق الغرق إلى أوروبا ص4
- الرجال الذين يهزمون النار ص6
- شرطة حلب الحرّة ص8-9
- جنوب دمشق المحاصر ص10-11
- العبوات الناسفة في الميادين ص12
- تجّار الآثار ص13
- سوريا.. وراء در! ص14
- استقلال القضاء السوري ص16

www.3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

عين المدينة | العدد (14) | 16 تشرين الأول 2013

مجلة نصف شهرية مستقلة

ما معنى جنيف2؟!!

لا يستطيع النظام السوري أن يقبل من الثوّار بأقلّ من الاستسلام! كان منطلق هذا الكلام في البداية هو عنجهية هذا النظام وغطرسته وتعنّت رأسه وبعض رموزه، ولكنّه أصبح الآن «حقيقةً موضوعيّةً» تأسره قبل غيره، بعد أن تورّط حتى أخمص قاعدته «الشعبيّة» في الدم والتدمير، وأصبح غير قادرٍ على الوقوف أمام المساءلة، أكثر من أيّ وقتٍ مضى، لأنها ستطال حكماً عدداً أكبر بكثيرٍ جداً من العدد الذي يجري تداوله في كواليس السياسة، حين يتمّ اقتراح أن يُستثنى بشار الأسد وعددٌ من كبار قادته (150 ـ 500) من المساءلة، ويغادروا إلى خارج البلاد.

هذه حلولٌ من خارج واقع الحال السوري، وهي «مستوردةٌ» من تواريخ النزاعات في كتب السياسة والتفاوض حولها. ومن هنا فإنه ليس من المهمّ الآن إن كنت تميل إلى الحلول السياسيّة وحقن الدم السوري، أم كنت من الذين لا يوافقون على الجلوس إلى طاولةٍ واحدةٍ مع قاتل الأطفال ومستخدم الكيماوي... إلخ، المهم أن النظام نفسه لن يستطيع أن يقبل بتسليم بعض أوراقه، لأنها ستؤدّي إلى انهيارٍ شاملٍ لبنيانه، لن يوفّر أحداً من فاعليه من المحاسبة والعقاب.

ومن هنا فلا خيار أمام المجرم، الذي تضيق عليه الدائرة، سوى تصعيد حربه حتى حدود التجويع، في حمص وأجزاء من دمشق وغوطتها وأريافها، كالمعضّميّة. ولا خيار أمامنا سوى التقدّم العسكريّ، الذي شهدنا ملامح له في الأيام الماضية في أكثر من مكان.

الائتلاف متمسكٌ بتنحية طاغية دمشق

الأسد يسلّم سلاحه الرادع لإسرائيل.. وموسكو تتنازل من أجل جنيف2

هيئة التحرير

في الوقت الذي ما زال الائتلاف السوري المعارض يعلن، عبر قنواته الرسميّة وغير الرسميّة، أنه لن يحضر مؤتمر جنيف2، لعدم وجود ضماناتٍ تستبدل بحكم الأسد حكومةً انتقاليةً تشرف على تنفيذ بنود أيّ اتفاقٍ محتملٍ بما فيها الانتخابات؛ يدور الحراك السياسي بين قطبي المعادلة دولياً (موسكو. واشنطن) على مبدأ (كسر العظم) الديبلوماسي، ويحاول كل طرفٍ انتزاع ما يمكن انتزاعه من تنازلاتٍ من الطرف الآخر قبل بدء المؤتمر، الذي ما زال يشكل محور انقسام على صعيد أقطاب المعارضة السورية وداخلَ كواليس الائتلاف السوري المعارض نفسه.

الموقف الأميركي لم يتغيّر بالنسبة إلى تأسيس حكومةٍ انتقاليةٍ في سورية بصلاحياتٍ تنفيذيةٍ كاملة، فهو ما زال مصرّاً على عناصر بيان جنيف1، مع غموضٍ بما يتعلق برحيل رأس النظام السوري.

وتشهد الأيام المقبلة اتصالاتٍ مكثفة بين «مجموعة لندن» التي تضم 11 دولة من «مجموعة أصدقاء سورية»، بهدف الوصول إلى موقفٍ موحّدٍ من مؤتمر جنيف 2 لإبلاغه إلى قيادة الائتلاف الوطني السوري في اجتماعها يومي 24 و25 تشرين الأول (أكتوبر) الجاري.

وبالرغم من حجم الجرائم المتزايد التي يقترفها نظام الأسد بحق السوريين، ينشغل القطبان الدوليان المحرّكان للحرب والسلم في سوريا بالملف الكيماوي. إذ نجحت موسكو في تجنيب حليفها الأسد ضربةً عسكريةً كانت ستكون قاصمة، ونجحت إدارة أوباما واشنطن من احتمال تورّطها في حملةٍ عسكريّةٍ ربما تطول وتجبرها على الدخول طرفاً في "حربٍ أهليةٍ" تحرجها أمام الكونغرس. وجاء ذلك بعد مفاوضاتٍ شاقةٍ أدّت إلى إصدار قرارٍ بالإجماع في مجلس الأمن يلزم النظام السوري بتسليم سلاحه من أجل تدميره، دون الإشارة إلى الجهة التي ارتكبت مجزرة 21 آب (أغسطس) الماضي بريف دمشق، ومن غير إحالة الملف إلى المحكمة الجنائية الدولية ولا الاستعانة

صراحةً بالفصل السابع، بل مجرّد التلويح به إن تلكأت دمشق في تنفيذ تعهداتها.

وفي تنازلٍ تاريخيٍّ عن سلاحه الردعي لإسرائيل مقابل إطالة عمر بقائه في السلطة، يسمح الأسد بدخول الفريق الأممي دمشق ليبدأ بحملة انتزاع الكيماوي منذ الأول من تشرين الأول (أكتوبر) الحالي، ولتعلن منظمة حظر الأسلحة الكيماوية OPCW أنها تحققت من أحد عشر موقعاً ودمّرت تجهيزاتٍ للإنتاج في ستة مواقع، ويتورّط وزير الخارجية الأميركي جون كيري بتصريحاتٍ مدائحيةٍ للأسد، فتحاول الخارجية الأميركية العودة عن تصريحاته وتؤكد أنه ليس هناك حاجة لمدح النظام فيما يطلق صواريخ سكود ويفجّر المدارس.

خلال الأيام الماضية، استطاع المعسكر الغربي انتزاع 3 تنازلاتٍ أساسيةٍ من موسكو بخصوص الأسد، أولها قبول روسيا بعودة الملف السوري مباشرةً إلى مجلس الأمن إذا تبيّن للمفتشين الدوليّين أن النظام يراوغ، والثاني قبولها أن ينصّ قرار مجلس الأمن على ضرورة سوق المسؤولين عن استخدام السلاح الكيماوي في سوريا إلى العدالة الدولية، ولكن من غير تحديد الجهة التي ستتولى مهمة المحاسبة ولا الجهة المسؤولة عن استخدام السلاح الكيماوي، أما التنازل الثالث فيكمن في قبول موسكو اللجوء إلى الفصل السابع كاحتمالٍ أخيرٍ رادعٍ للنظام السوري، ولكن بعد العودة الى مجلس الأمن.

وفي هذه السياقات الدولية أمام محاولات الأسد المتكالبة لإطالة مدّة استئثاره بالسلطة، يتفق الائتلاف المعارض برئاسة أحمد الجربا، وأركان الجيش الحرّ بقيادة اللواء سليم إدريس، على رفض أي حوارٍ مع النظام، والانطلاق من ثابتة تنحّي الأسد وانتقال السلطة ومحاسبة مرتكبي جرائم الحرب لدى الدخول في أي عمليةٍ تفاوضيةٍ.

وفيما خصّ الأطراف الإقليمية المعنيّة بالشأن السوري، تفاجئ تصريحاتٌ إيرانيةٌ رسميةٌ المجتمع الدولي بعدم إصرارها أو تحمّسها للمشاركة في جنيف2، وهو ما تفضّله المعارضة السورية، وفسّر محللون ذلك بأنه مراوغةٌ سياسيةٌ هدفها تليين موقف واشنطن من ملفها النووي. إلا أن المفاجأة الأكثر إثارةً هي رفض السعودية عضوية مجلس الأمن، معبّرةً بذلك عن أقصى درجات الاستياء إزاء فشل المجتمع الدولي في مساعدة الشعب السوري الذي يتعرّض لأبشع أنواع الجرائم على يد النظام الحاكم منذ نحو سنتين ونصف السنة.

معارك نوعيّة للجيش الحرّ.. والنظام يحتمي بميليشياته الطائفية

هيئة التحرير

عدسة كرم | خاص عين المدينة

حقّق الجيش الحرّ انتصاراتٍ ميدانيةٍ مهمةٍ خلال الأسبوعين الماضيين، في كلٍ من ريف دمشق وحلب وإدلب وحماة. فبعد عمليةٍ استغرقت أسبوعاً كاملاً، تمكّن الجيش الحرّ وثوّار داريّا من تحرير جزءٍ من الكورنيش القديم في المنطقة الشرقية من المدينة المحاصرة منذ نحو عام، والاستيلاء على 20 بناءً يطلّ على بساتين داريّا الشرقية ويشرف على طريق الدحاديل، والمحاذية لكفر سوسة التي لا يبعد عن مساكنها الجديدة مقرّ وزارة الخارجية ومبنى المخابرات العامة وفرع فلسطين سيء الصيت. وقد غنم الثوار في هذه المعركة، التي أطلقوا عليها اسم "الموت المفاجئ"، أسلحةً خفيفةً وبعض الذخائر، وقتلوا العشرات من عناصر النظام.

وبحسب خبراء، تشكّل معركة "الموت المفاجئ" نقلةً نوعيّةً في التكتيك القتالي الذي تتّبعه المعارضة في مجابهتها للقوة العسكرية للنظام، فقد اعتمد المقاتلون على التسلل الحذر والمباغت إلى مناطق النظام. وتعتبر داريّا خاصرة النظام الغربية ومقتله ومقبرة جنوده، وقد عجز عن احتلالها بعد أن هاجمها على مدى 23 شهراً بلا توقف، وأفشلت عشرات المحاولات لاقتحامها، ودمّرت لوحدها 103 دبابات تابعة للفرقة الرابعة والحرس الجمهوري.

وفي الذيابيّة جنوب دمشق ارتكبت ميلشيات أبو الفضل العبّاس الشيعيّة مجزرةً طائفيّةً جديدةً راح ضحيتها أكثر من 125 شهيداً بينهم أطفالٌ ونساءٌ وشيوخٌ تمّ إعدامهم ميدانياً بطرقٍ وأدواتٍ وحشيّةٍ، إذ استخدمت السكاكين في إعدام بعضهم، وأحرقت الكثير من المنازل في البلدة.

ويكشف ضابطٌ من قوات الأسد عن معلوماتٍ تفيد بخطّةٍ هجوميّةٍ يبيّتها النظام على منطقة القلمون، وذلك بواسطة حزب الله اللبناني. وأكّد الضابط أن الخطة كانت مرسومةً قبل ضرب غوطة دمشق بالكيماوي وتعرّض النظام لضغوطٍ عسكريةٍ وسياسيةٍ كبيرة، فأرجأ حزب الله تنفيذها بسبب التهديدات العسكرية الأمريكية للنظام السوري. وبحسب الضابط، تتألف الخطة من 3 مراحل، الأولى هي احتلال مرتفعات القلمون (1200 م عن سطح البحر)، ثم الهجوم على الغوطة الشرقية، ثم اقتحام أحياء يسيطر عليها الجيش الحرّ في العاصمة دمشق.

وفي ريف إدلب، أصدر قرابة 25 لواءً في الجيش الحرّ، هي من أكبر وأهمّ الألوية العاملة هناك، بياناً أعلنوا فيه بدء معركة "الزلزلة"، التي تهدف إلى تحرير معسكر وادي الضيف حتى مدينة خان شيخون، ومن ثم السيطرة على طريق حلب . دمشق الدولي. وقد بدأت نتائج العملية تعطي أُكلها حين تمكن الجيش الحرّ من السيطرة على عدد من الحواجز والاقتراب من المعسكر.

وفي ريف حلب تمكن الثوار من إعادة السيطرة على بلدة خناصر، التي تعدّ نقطةً بالغة الأهميّة، وما تزال الاشتباكات متواصلة في محيط هذه البلدة، حيث تبذل عصابات الأسد، مدعومةً بميليشيات "حزب الله" والحرس الثوري الإيراني، جهوداً كبرى لاستعادة طريق الإمداد إلى معامل الدفاع. وقامت ألوية أمجاد الإسلام وأنصار الخلافة والفوج 29 من لواء التوحيد بصدّ رتلٍ متقدّمٍ من جهة معامل الدفاع باتجاه خناصر، فأوقعت العشرات منهم بين قتيلٍ وجريح.

ويهدف الثوار من خلال معركة "العاديات ضبحاً" إلى إحكام الحصار على معامل الدفاع، وفصلها بشكلٍ تامٍّ عن مطاري حلب المدني والنيرب العسكري. وتتألف هذه المعامل من عدة أقسامٍ رئيسيةٍ تصنع مختلف أنواع الذخائر، وتمتلك عدداً من قواعد الدفاع الجوي التي تتوزّع في محيطها، كما تحوي عدداً آخر من المفارز المسؤولة عن حماية بوّاباتها ومداخلها.

وفي المنطقة الشرقية تتصدّر دير الزور بجبهاتها المختلفة المشهد الميداني، فقد ظهرت الملامح الأولى لمعركةٍ كبيرةٍ يخطّط الثوار لها، تهدف إلى إكمال تحرير دير الزور. وبدت جبهة حيّ الرشدية غربي المدينة الأكثر خطورةً واشتعالاً، نظراً لأهمية هذه المنطقة لقوات الأسد وقربها من حصنه الأمني المؤلف من المشفى العسكري، والمتحف الذي صار ثكنةً عسكريّةً، ومقرّي المخابرات العسكرية والجوية.

طـــريق الغرق إلى أوروبـــا

متري شكّور | هامبرغ

عدسة monica frassoni

من موقع cronaca razzismo

من موقع giornalettismo

لا توجد أرقامٌ تعبّر بدقةٍ عن أعداد السوريين الذين يحاولون السفر الى أوروبا الغربية، ولكن التقديرات تصل إلى عشرات الآلاف. تمكّن بعضهم من الوصول إلى مقصده، وما يزال البعض الآخر عالقاً إما في تركيا أو في اليونان أو في الغابات الصربيّة. وقد أقدم بعضٌ من هؤلاء على هذه المغامرة بالسفر بحراً، لتقع العديد من حالات الغرق المأساوية.

في منتصف شهر أيلول أثارت كارثة لامبيدوزا الإيطالية الرأي العام العالمي، فقد غرق على إثرها ما يزيد على ثلاثمائة مهاجرٍ لم يسعفهم مركبهم المتهالك على إتمام طريقهم إلى الجزيرة الإيطالية. ثم لم تمض أيامٌ على تلك الحادثة إلا وابتلع البحر مجدّداً ما يقارب المائة، في حادثةٍ أخرى على أبواب الحلم الأوروبي، كان جلّهم من السوريون. ليفتتح ملفٌ آخر للمأساة السورية المديدة.

في أحد مخيمات اللاجئين في مدينة هامبورغ الألمانية يقبع سوريون هربوا من المحنة العظمى التي ألمّت ببلادهم وحيواتهم، ينتظرون قرارات دائرة الهجرة على أمل منحهم اللجوء. رووا لنا قصصهم وظروفهم في وطنهم، وطريقة وصولهم غير الشرعية إلى الأرض الألمانية.

يتحدّث فادي عن تفاصيل الرحلة التي أوصلته إلى ألمانيا، قائلاً: بعد الاتفاق مع مهرّب خرجنا من مدينةٍ تركيةٍ ساحليةٍ عبر زورقٍ مطاطيٍّ إلى جزيرةٍ يونانية. وقمنا هناك بتسليم أنفسنا للشرطة اليونانية، التي سجنتنا سبعة أيام ثم أطلقت سراحنا بعد نقلنا إلى أثينا. لنتواصل مجدداً مع المهرّب الذي طلب منا الذهاب إلى جزيرة كريت، فغادرنا أثينا إلى كريت، ليتسلّمنا من هناك أحد المهربين الذي وضعنا في منزلٍ ليأخذنا في الليلة التالية بسياراتٍ مغلقة، ثم بقاربٍ، إلى جزيرةٍ لا نعرفها، ولنمشي ليلاً على حافةٍ جبليةٍ وصولاً إلى كهفٍ عميقٍ في الجبل، ولندخل فيه مستدلّين بمصباحٍ يدوي لأحد المهربين، بعد أن تمت مصادرة أجهزة الموبايل التي بحوزتنا. بقينا في هذا الكهف لمدة 25 يوماً، مُنع علينا فيها الخروج في النهار. وكان الغذاء اليومي مؤلفاً من بيضةٍ أو حبّة بطاطا، نشرب القليل من الماء، ونقضي حاجتنا في براميل بلاستيكية نفرغ محتواها في ظلام الليل خارج الكهف. ويُعاقب المعترض على أي شيءٍ ببضع لكماتٍ وضرباتٍ عصيٍّ من أزلام المهرّب السوريين.

في الخمسة وعشرين يوماً تلك استمرّ وصول دفعاتٍ من "الزملاء" الجدد إلى الكهف بشكلٍ شبه يومي، ومن بينهم نساءٌ وأطفال. ليصل عددنا بعد انقضاء تلك المدّة إلى ما فوق المائة، يكشف ضوء النهار الضعيف عن وجوهها المتعبة وعيونها الحالمة. ولتلطّف رائحة الفضلات البشرية أنفاسنا في انتظار ساعة الفرج.

حان وقت الرحيل من جحيم الكهف، فتم اقتيادنا، بعد مسيرٍ شاقٍّ عبر الجزيرة، إلى شاطئٍ رسا فيه قاربٌ صيدٍ لا يتّسع لنصف عددنا. احتجّ البعض على صغر المركب، ولكنهم سرعان ما رضخوا بعد تهديدهم بالعودة إلى الكهف لانتظار المركب (الأكبر الموعود)! بدأنا بالإبحار لساعاتٍ طويلةٍ لنصل إلى نقطةٍ التقى فيها قاربنا بمركبٍ أكبر قليلاً، لكنه مهترئٌ، لننتقل إليه، وليغادر قاربنا السابق وبحّاروه في اتجاهٍ آخر. ثم، بعد إبحارٍ يومين وتغيير المركب إلى آخر صغيرٍ، وصلنا، لنعرف بعد حضور وسائل الإعلام والشرطة أنها الأراضي الإيطالية. وبعد حفلاتٍ من التحقيق مع كل واحدٍ منّا اقتادونا إلى مخيمٍ مغلق، بعد نوم ليلةٍ هانئةٍ على الإسفلت الإيطالي.

هربتُ ومعي شخصان من المخيم، بعد اتصالاتٍ عديدةٍ مع أصدقاء ليدلّونا على طريق الخروج. وركبنا قطاراً يصل بنا إلى ميلانو، ثم قطاراً آخر إلى روما فباريس، في رحلة رعب من افتضاح مفتشي القطارات أمرنا واقتيادنا مجدّداً إلى المخيّمات الإيطالية. من باريس ركبتُ قطاراً إلى فرانكفورت، لتستقبلني الشرطة الألمانية في المحطة، وتقتادني إلى مركز الشرطة، ولينتهي بي الأمر في هذا المخيم، مروراً بمخيماتٍ ألمانيةٍ أخرى ودولٍ ومراكب وصواريخ وبراميل متفجرة لم يكن للسوريين خيار تجنب الموت منها والحلم بحياةٍ ما.

الأثر النفسي للنزوح على المرأة

هنادي عبد الوهاب

لم تكن نجاح، ابنة الثلاثين عاماً، تعاني من أي مشاكل صحية قبل عامين. ولكن الأمر تغيّر بعد أن بدأت تحسّ بآلام حادةٍ في المعدة، أكد لها طبيبها المعالج أنها أعراض قرحة معديّة سببها نفسي، وأن عليها أن تتجنّب أسباب الانزعاج، إضافة لوصفه عدة أدوية يجب أن تواظب عليها.

كيف لها تجنّب الانزعاج؟ تساءلت نجاح، فأسرتها دون دخل، تعيش على السلال الغذائية التي توزّعها الجمعيات الخيرية، إضافة إلى إعاناتٍ ماليةٍ من بعض المحسنين والأقارب.

للنزوح آثاره النفسية على الأسرة بشكلٍ عام، وعلى المرأة بشكلٍ خاص. "عين المدينة" التقت السيدة وداد عز الدين في أحد مراكز الإيواء في ريف دير الزور، لتسليط الضوء على هذه الناحية، فقالت: أبرز أشكال هذه المعاناة تبدأ حين تشعر المرأة أن كلمة كيان أسري باتت بلا معنى، وأن طريقة العيش في السكن الجماعي تفتقد إلى أدنى درجات الخصوصية، فوجود حماماتٍ مشتركةٍ عاملٌ يسبّب الكثير من الحرج، وخصوصاً أنها موجودة في ساحات مراكز الإيواء (المدارس). عدا عن ضيق المكان واستخدام البهو من قبل عدّة أسر في عمليات نشر الملابس أو الطبخ وغير ذلك، الأمر الذي يعرّضك للاحتكاك القسري مع العوائل المجاورة، وبالتالي حدوث بعض المشاكل والمماحكات المزعجة. كل ذلك يزيد من معاناة النزوح الذي يقع بالدرجة الأولى على المرأة، فواجباتها بالأساس كثيرة، ليضاف إليها ما ذكرت من عوامل سلبية. لقد لازمني الصداع المزمن منذ عدة أشهر، وشعورٌ بالوهن والإرهاق عند قيامي بأبسط الأعمال. وعند ذهابي لطبيب عصبية مختصّ أكّد لي أن منشأ كل هذه الأعراض نفسي. وبعد أن سألني العديد من الأسئلة أخبرني أنني مصابة باكتئاب، ووصف لي بعض المهدئات والمسكنات، ونصحني بالابتعاد عن مسببات الانفعال، الأمر الذي أزعجني وأضحكني بآنٍ معاً.

ومما يزيد من معاناة النساء أيضاً كون فصل الشتاء على الأبواب، الأمر الذي سيجعل استخدام الحمامات في غاية الصعوبة، وبالأخص بالنسبة للأطفال، بسبب البرد القارس. إضافة إلى ترافق ذلك مع انقطاع التيار الكهربائي، الأمر الذي يضاعف من المعاناة وخصوصاً ليلاً. كما أن عمليات غسيل الملابس والطبخ وغيرها تصبح مزعجة ومتعبة بسبب البرد.

كان ألم بعض النساء من نوعٍ مختلف، وما تعاني منه السيدة فوزية هو خير مثالٍ على ذلك، فهي تشكو من الكوابيس الكثيرة التي تجعلها تفيق مفزوعة من نومها أثناء الليل، وتتبع ذلك نوبات بكاءٍ شديدٍ يصل إلى درجةٍ هستيريةٍ كما يروي أحد أفراد أسرتها. جلّ هذه الكوابيس كان يدور حول أحداث قتلٍ وتنكيلٍ يتعرّض لها أحد أبنائها أو أخوتها. ولعل لفقدها لابنها أحمد في مذبحة الجورة والقصور أكبر الأثر في بقاء هذه الكوابيس ألماً متجدداً يقضّ مضجعها، الأمر الذي جعلها تداوم على قراءة بعض سور القرآن الكريم، كالمعوّذات وغيرها، لتخفيف وطأة هذه الخواطر التي تهيمن عليها.

ولمعرفة المزيد حول الأثر النفسي لظروف النزوح على النساء، التقينا بطبيب الصحة العامة علي القاسم، الذي قال: تعاني المرأة أكثر من غيرها من الآلام النفسية للنزوح والتهجير القسري، بحكم عواملٍ عديدة لعل أبرزها العمل المنزلي المستمرّ حتى في الظروف السيئة، إضافة إلى أن حياتها تفتقر إلى التجديد أساساً، بحكم ملازمتها للبيت والأسرة، وغير ذلك من العوامل.

أما عن اختلاف الأعراض ففسّره القاسم بالقول: يعود تباين الأعراض بين النساء المريضات إلى التباين في بنيتهن، فتظهر عند واحدةٍ بشكل قرحةٍ معديّةٍ وعند أخرى بالصداع. إضافةً إلى الوضع الصحي المرتبط بالحمل والإنجاب والرضاعة، فبعض أعراض الاكتئاب مثلاً لها علاقةٌ قويةٌ بذلك.

أما النصائح التي يوصي بها د. القاسم لتلافي ما أمكن من آلام فهي: يجب أن تلعب الأسرة دوراً كبيراً في التخفيف عن أفرادها المرضى بشكلٍ عام، وعن الإناث بشكلٍ خاص، من خلال التشجيع والمؤازرة النفسية وتوزيع الجهد. عدا عن أن العامل الديني وممارسة العبادات، قد يكون له عظيم الأثر في تخفيف الأعراض، وهو ما تؤكّده بعض الدراسات النفسية الحديثة. كما أن لمواجهة الفرد لواقعه بشجاعة، إضافة إلى مثابرته على العلاج الذي يصفه الطبيب المختص، عظيم الأثر في التعافي والشفاء.

الرجال الذين يهزمون النيران

أحمد الصالح

أعادت الثورة توزيع المهن والأعمال من جديدٍ على السوريين. فعمل الكثيرون، بفعل الحاجة والضرورة، في مهنٍ شتّى لم يكن يخطر على بالهم أنهم سيعملون فيها..

عدسة أحمد | خاص عين المدينة

سيارة إطفاءٍ واحدة وعشرات الحرائق... هكذا بدأ علي حديثه عندما سألته "عين المدينة" عن عمله كرجل إطفاءٍ تحت القصف.

يتألف فريق الإطفاء في الجزء المحرّر من دير الزور من ثلاثة أشخاص، هم علي واثنان من رفاقه. ويلخّص علي قصته مع الإطفاء منذ الساعة الأولى له في هذا العمل، فيقول: عندما بدأ القصف على الأحياء المحرّرة، قبل أكثر من عام، سقطت قذيفةٌ في حارتنا وأدّت إلى إحراق منزل جاري. لم تكن هناك سيارة إطفاءٍ، فشاركت في إخماد الحريق مع شابين آخرين صادف مرورهما في ذلك الوقت. استخدمنا طرقاً بدائية في ذلك، إذ نقلنا المياه بالأواني المنزلية. واستطعنا أخيراً السيطرة على الحريق بعد مشقةٍ وتعب. وعند انتهائنا من ذلك توقفنا لنشرب الشاي ونتعارف، أنا وكلٌ من شريكيَّ في عملية الإطفاء، أبو محمد وعمر. تحدثنا ساعتها مطولاً عن عالم الإطفاء، الذي لم يعمل أحدٌ منّا فيه من قبل، ولكننا تحمّسنا للتفرّغ لهذا العمل وتشغيل الآليات الموجودة في المركز، وهكذا تشكّل فريقنا لتبدأ المعاناة بعد ذلك. ويشرح علي أهم المشاكل والعقبات التي تواجه عملهم بالقول:

توجد خمس آليات إطفاءٍ في المدينة، أربعٌ منها معطّلة، باستثناء الآلية التي نعمل عليها. تواجهنا مصاعب كبيرة في عملنا، فنحن لا نملك بدلات اقتحام الحرائق، وهي من أساسيات عمل رجل الإطفاء، ولا نملك حتى أبسط الأدوات كأحذية الـ safety، والعدّة اللازمة للاقتحام، فكما تعلم هناك منازل مغلقة ونضطر في بعض الأحيان إلى هدم الجدران لكي نصل إلى الحريق. كما أن الوقود غير متوفر بالكميات الكافية لكي نقوم بواجبنا على أتمّ وجه.

أما أبو محمد، وهو الرجل الذي شارك علي في مهمّته الإطفائية الأولى، فيعلّق على مهنته الجديدة: أنا لم أحمل السلاح، وبقيت في هذا البلد أبحث عن دورٍ لأقوم به، فوجدت أنني أجاهد في هذه الثورة من خلال هذا العمل. وعن سؤالنا كيف تطوّع لهذا الأمر يقول أبو محمد: كنت أعمل كسائق آلياتٍ ثقيلة في إحدى الدوائر الحكومية، وعندما قررت العمل كرجل إطفاءٍ تطوّعت لقيادة الآلية. ولكن ضعف الإدارة وتقصير المجلس المحلي يسبّبان لنا مشاكل جمّة، ففي إحدى المرات، التي خرجنا فيها لإخماد أحد الحرائق، تعرّضت لإصابةٍ نتجة انفجار أسطوانة الغاز في المنزل... لو كنّا مجهزين بعدّة الإطفاء لما حدثت الإصابة.

يفسّر السيد سليمان الهايس، مدير مكتب الدفاع المدني في المجلس المحلي بدير الزور، العوائق أمام عمل وحدة الإطفاء، قائلاً:

سيارات الإطفاء موجودةٌ عند بعض الكتائب. عرضنا على تلك الكتائب إصلاح هذه الآليات لكنهم قابلوا طلبنا بالرفض لأسبابٍ عديدة، فاعتمدنا على الآلية التي يستخدمها علي ورفيقاه. نحن نقوم بتزويد طاقم الإطفاء بالوقود. وطلبنا من الجهات الداعمة تقديم عدّة إطفاءٍ منذ أشهر، ولا زلنا بانتظار قدوم المعدّات.

وبالعودة إلى العنصر الثالث في فريق إطفاء دير الزور، الشاب عمر، الذي بدا متحمساً وهو يتحدث عن مهنته التطوعية كرجل إطفاءٍ محترف:

بسبب القصف المستمر على أحياء المدينة تواجهنا عادةً العديد من الحرائق، بمعدل وسطي عشرين حريقاً أسبوعياً. نحن نوجد غالباً بالقرب من سيارة الإطفاء. وعندما يشبّ حريقٌ في أحد الأماكن نتلقّى الخبر، إما من الأهالي أو يحدث عادةً أن يقوم الجيش الحرّ بإبلاغنا بمكان نشوب الحريق.

أصبح ثلاثي الإطفاء، المؤلّف من علي ورفيقيه، ثلاثياً مشهوراً في المدينة، فلقد اعتاد الأهالي رؤية سيارة الإطفاء الوحيدة تجوب الشوارع بحثاً عن الحرائق لتخمدها. ويصف أحد السكان هذا الفريق المتطوّع بأنهم مقاتلون حقيقيون، فهم يعملون ستّ عشرة ساعة في اليوم من دون مقابل. ويضيف مازحاً: "ويطفئون أكبر الحرائق وأخطرها. وسيدخلون حتماً في موسوعة جينيس للأرقام القياسيّة بعدد الحرائق التي أطفأوها".

حمّى الأسعار تجتاح أسواق الميادين التجارية

ليلى الظاهر

للمرة الثانية يمرّ العيد دون أن يحصل عامر على ثياب جديدة، ولا شيء يبشّر أنه قد يحصل عليها في الأيام القادمة، فحمّى الأسعار وندرة البضائع تحول بينه وبين تلك الرغبة. عامر هو واحدٌ من أبناء الميادين المحرّرة، الذين تحول بينهم وبين الإحساس بالعيد أشياءٌ كثيرة.

ملابس العيد في آخر قائمة الأولويات

ولعل المتابع لحركة المدينة لا يجد عناءً في رصد حال الأسواق التجارية، وخاصة ما ارتبط منها بالعيد والتحضيرات له، ذلك أن البائع والمشتري كلاهما يتداولان باستفاضة جوانب عديدة مما تعاني منه هذه الأسواق، التي كانت عامرةً بكل أشكال النشاط التجاري، وتزداد هذه المعاناة بصورة خاصة في عيدي الفطر والأضحى. لأخذ فكرة أكبر عن هذا النشاط، وعن حالة الإحباط التي ألمّت بعامر، التقينا السيدة "رفاه مصطفى" التي أفادتنا بالقول: بالنسبة لسوق الألبسة، وهي أكثر ما يتمّ تداوله خلال العيد، فالأسعار جهنمية ولا تتناسب بأي شكل مع دخولنا. وبالأخص أن عيد الأضحى يأتي متزامناً مع فترة دخول المدارس، مما يرتّب على الآباء أعباءً ماليةً ضخمة تجعل شراء الملابس في آخر الأولويات بالنسبة لكثير من الآباء. إن كسوة العيد لطفلٍ واحدٍ قد تكلّف في الحد الأدنى 5000 ليرة سورية، أي أن العيد بالنسبة لثلاثة أطفال قد يقضي على دخل الأسرة الشهري بأكمله.

فيتراوح سعر البلوزة العادية لطفلٍ صغير بين 1000 و2000 ليرة، وسعر البنطال في الحدّ الأدنى 1300 ليرة. عدا عن نوعية البضائع المنتشرة، والتي بغالبيتها ذات أقمشة سيئة، بسبب إغلاق العديد من المصانع التي تنتج الملابس الجاهزة في حلب وريف دمشق.

تغيب الأضحية في عيد الأضحى

ولعلّ ارتباط العيد، وعيد الأضحى تحديداً، باللحوم والثروة الحيوانية جعل لزاماً علينا تسليط الضوء على الحركة التجارية في هذا الجانب، وذلك من خلال اللقاء مع تاجر الأغنام "محمد خلوف"، الذي وصف السوق بقوله: إن الإقبال على شراء الأغنام بقصد ذبحها في العيد ضئيلٌ جداً، وذلك بسبب ارتفاع أسعارها بشكلٍ كبير لم يعد في متناول يد الكثير من الناس، فسعر النعجة التي تصلح للأضحية يقدّر بحوالي 35000 ل. س، أما الخروف فيصل حتى 55000 ل. س، ويتجاوز سعر البقرة 140000 ل. س. بالإضافة إلى أن استهلاك اللحوم انخفض إلى أقلّ من النصف عند الكثيرين، وخرج عند شرائح أخرى من قائمة الحاجات الغذائية التي تدخل المنزل. كما أن لحم العجل يتم نقله إلى محافظات أخرى، مما يزيد من ارتفاع سعره. وقد أدى ذلك إلى زيادة الطلب على لحوم الضأن والدجاج، الذي صار سعر الكيلو منه 550 ليرة، لعدم وجود المداجن في المدينة، إذ يتركّز معظمها في القلمون وريف حلب وحمص، وتؤدّي مشاكل الطرقات وصعوبة النقل إلى ارتفاع أسعارها.

عيدٌ بدون "كليجة العيد"

ومن المواد التي ارتبطت بالأعياد، وتعاني الآن من الركود إلى حدٍّ بعيد، الحلويات وخاصة "الكليجة". فهي، ولأسباب اجتماعية، تغيب عن معظم بيوت الميادين من الوافدين وأهالي المدينة، كما بيّنت لنا السيدة "فيحاء العلي" بالقول: ارتبطت الحلويات عندنا بالفرح عموماً، وهذا الفرح غائبٌ عن شوارع المدينة وبيوتها بسبب الظروف التي نمرّ بها. حتى أن صنع "الكليجة" مثلاً صار يمثل حالةً من الترف لا تليق بمعظم الناس هنا. هذا من جهة، ومن جهةٍ ثانية فإن ارتفاع أسعار المواد الخاصّة بالحلويات يجعل الكثيرات من سيدات المنازل يتجاوزنها.

عدسة بلال | خاص عين المدينة

شرطة حلب الحرَّة

يزيد حلبي | محمد فراس العلي

قبل عام من اليوم بدأ العمل بمشروع الشرطة الحرّة بشكلٍ تجريبي، كجزءٍ من مشروع الأمن الوطني الذي يشمل كامل المناطق المحرّرة. وكانت حلب هي السبّاقة في البدء.

عدسة فراس | خاص عين المدينة

يقول الناطق الإعلامي باسم جهاز الشرطة الحرّة في حلب، الملازم أول عاشق محمد، لـ"عين المدينة": نتيجةً للفراغ الأمني، وبالتنسيق مع المجالس المحلية في المحافظة، انطلق مشروعنا بتأسيس جهاز احترافيٍّ للشرطة، قبل سنة تقريباً. وحرصاً أن يستوعب المشروع العناصر المنشقين، الذين يشكلون نسبة 65% من العدد الكلّي للمنتسبين لهذه المؤسسة الناشئة، والباقي من الثوار الذين بادروا إلى القيام بأعمال الشرطة بعد تحرير مناطقهم. يضيف عاشق: بدأ التطبيق العملي للمشروع في مدينة جرابلس بريف حلب، وفي حيّ الفردوس داخل المدينة، وتطوّرت التجربة بعد ذلك لتمتدّ إلى مناطق وأحياءٍ أخرى، ليبلغ عدد المراكز العاملة اليوم 47 مركزاً تؤدّي وظيفتها بشكل ممتاز. وقد جُهّزت هذه المراكز بمستوى أقل مما يجب، وما يزال ينقصها الكثير من العدد والمستلزمات اللوجستية، إضافةً إلى النقص في الذخيرة والسلاح. ويتقاضى المنتسبون إلى الشرطة الحرّة راتباً شهرياً بمقدار 100 دولار للعنصر و150 دولار لصف الضابط و300 دولار للضابط. وبلغ عدد العاملين في المشروع 1200 شخص، بينهم 70ضابطاً. ويُحضّر الآن لتأسيس منظومة خدماتٍ طبيةٍ لرعاية العاملين في شرطة حلب الحرّة.

وبحسب عاشق، تنسّق مجالس الأحياء والمجالس المحلية مع جهاز الشرطة، فهم شركاءٌ حقيقيون وأهدافهم واحدة، وتُنشأ مراكز الشرطة بناءً على طلب هذه المجالس. والحمد لله، يضيف عاشق: يحظى عملنا باحترام كبيرٍ من السكان ومن جميع الهيئات المحليّة، فهاجسنا الأول هو خدمة الأهالي. ونفتخر أن سكان حيّ الكلاسة قد رفعوا لافتات شكرٍ لنا.

في الكلاسة وبستان القصر

في شهرٍ واحدٍ وقعت ثمانون جريمة سرقةٍ وثلاث جرائم قتل و25 مخالفةً من الجيش الحرّ، حقّق فيها جميعاً مركز الشرطة في الكلاسة وبستان القصر.

يتحدث مدير المركز، أبو عبدو شيخ العشرة (34 عاماً) وهو قائد كتيبةٍ سابقٍ تفرّغ لأعمال الشرطة، بحماس عن مهنته الجديدة، ويبدو حريصاً جداً أن تنجح التجربة في هذين الحيّين، ويذكر قائمة بمهماته تبدأ بملاحقة المجرمين وتنتهي بضبط الأسعار. إذ تنطلق دورياتٌ راجلةٌ من المركز يرافقها خبير أسعار، وذلك لمكافحة الاستغلال من قبل بعض الباعة والتجار، ويمتدّ عمل رجاله خلال الليل حين يلقون القبض على كل مشتبهٍ فيه، إضافةً إلى توثيق وأرشفة بيانات المفقودين. ويتم كل هذا بالتنسيق مع مجالس الأحياء والمجالس المحلية والأهالي، الذين يسهمون في انتقاء واختيار عناصر الشرطة من الشبان ذوي السمعة والخلق الحسن.

ويفخر أبو عبدو بثقة الناس واحترامهم، فقد استطاع مع رجاله تقليص عدد جرائم السرقة إلى حدٍّ كبير.. ويقول بأنهم استعادوا مسروقاتٍ أخذت من خمسين منزلاً، وأعادوا عشرين سيارةً إلى مالكيها، وأعادوا أيضاً سبعة مخطوفين إلى ذويهم، كان أحدهم حفيد المفتي الراحل إبراهيم السلقيني، والذي اختطفته عصابة إجراميّة تنتحل صفة الجيش الحر، تمّ إلقاء القبض على عناصرها وإحالتهم على القضاء.

يقول رئيس المجلس المحلي في الكلاسة، أبو عدنان الشيخ: عمل رجال الشرطة الحرّة جيدٌ في هذه الظروف الصعبة. ومنذ افتتاح مركز الشرطة الحرّة تراجعت جرائم السرقة الى حد كبير.

ويعقّب شيخ العشرة: بل انعدمت حالات السرقة تماماً، فبعد أن كان معدل الجرائم أربع سرقاتٍ في اليوم لم نسمع الآن عن حادثة سرقةٍ منذ وقتٍ طويل. ولكنه يشكو من قلة الموارد وقلة العدد، وخاصةً مع جوارهم للمناطق الخاضعة لسيطرة النظام، الذي لا يكفّ عن إرسال المخبرين والمخرّبين إلى المناطق المحرّرة.

رأي الناس

يعمل محمد (34 عاماً) في محلٍّ لصيانة آلات التطريز في بستان القصر، وبينه وبين جاره قصة خلافٍ قديمة تفاقمت في الفترة الأخيرة لتتطور إلى عراكٍ بالأيدي واستخدام الأسلحة البيضاء، قبل أن تأتي دورية الشرطة الحرّة وتلقي القبض عليهما. وخلال ثلاثة أيام في السجن حرص أفراد المركز على الإصلاح بينهما.. وهذا ما حدث فعلاً، وانتهت المشكلة التي امتدّت لـ 15 سنة بين الرجلين.

أما فاروق، وهو صاحب مطعم فلافل في الكلاسة، فيروي كيف سُرقت مولّدة الكهرباء من مطعمه، وكيف تقدّم بالشكوى، ثم ذهب لاستعادة المولّدة عندما قبض رجال الشرطة الحرّة على السارق. وهو يدعو لهم بالتوفيق والحفظ من الله.

وكذلك يفعل بائع القهوة الجوّال أبو احمد، وهو يتحدث عن إعجابه بمساعدتهم للناس، رغم أن بعضهم بلا خبرة كافية. ولكن أبو أحمد يبدي أسفه لبعض التجاوزات التي يسمعها بحق الموقوفين. ربما يضطرون إلى الخشونة أحياناً، كما يقول.

شرطة مدينة منبج

وللاطّلاع على مسار التجربة في الريف تجوّلت "عين المدينة" في منبج،

مقر شرطة منبج الحرة

محاولةً تقديم صورةٍ عن عمل الشرطة الحرّة هناك، حيث يوجد مركزان لهذه الشرطة. وللأسف لم نتمكّن من الحوار مع أيٍّ من المسؤولين في هذين المركزين، وذلك لأن المركز الأول كان خالياً من أيّ عنصر، ورفض الضابط في المركز الثاني الحديث معنا، مبرراً ذلك بأنه لا يتحدث مع من يعدّون التقارير الصحفية ويعرضونها للبيع ويقبضون عليها المال. وأمام الإلحاح طلب منّا أن نقابل ضابطاً آخر هو العميد "تركي"، وفي مكانٍ آخر هو مدينة حلب.

وأما في الشارع المنبجي فيلاحظ التلكؤ والضعف في أداء الشرطة الحرّة، ويفسر ذلك بأسبابٍ عدّةٍ أولها تلاشي هيبتهم من أعين الناس، فعلى سبيل المثال لم يتمكن عناصر الشرطة من تنظيم المرور في شوارع منبج، ولا يبدي لهم السائقون الطائشون أي اعتبار، بل على العكس هم محطّ سخرية من هؤلاء، وخاصةً عندما يسجّلون المخالفات بحق السائقين المخالفين. ومن جانبٍ آخر يغيب التنسيق مع فصائل الجيش الحر، للسيطرة على تصرفات بعض مقاتليها التي جعلت الشرطة في حالةٍ من الإحراج والضياع، فضلاً عن النقص الكبير في تجهيزات الشرطة وقلّة عددهم وعتادهم بالمقارنة مع الجيش الحرّ. ويضاف إلى ذلك كله النظرة السلبيّة المسبقة عن رجل الشرطة، والتي ورثها الناس من تجربتهم المريرة مع أجهزة الشرطة الأسدية. ويقول مصطفى، وهو شاب في الثلاثين من العمر: يعاني الشرطي من فسادٍ داخليٍّ في نفسه من المستحيل أن يتغلب عليه، فمن انغمس خلال عشرين عاماً في قذارة خدّام الأسد لا يستطيع أن يتغيّر في عامٍ واحد. ما يزال الوقت مبكراً لرؤية شرطيٍّ محترم. ويحتجّ لؤي (22 عاماً) على قسوة مصطفى، ويدافع عن الشرطي بأنه يعرف كيف يتعامل مع الناس على الأقل، ولا يحمل بندقيته متبجحاً ويتخبتر بين المدنيين كما يفعل عناصر الجيش الحر. ويتدخل أبو خليل (55 عاماً) في النقاش متمنياً أن تنجح التجربة في منبج، ويقوم رجال الشرطة بواجبهم على الأرض، ويفرضوا حضورهم على الجميع لتوفير الأمن الذي فقده الناس. وهذا لن يتحقق، كما يقول أبو خليل، إلا بتوافر الدعم الكافي لهذه التجربة، وأن تخرج كتائب الجيش الحرّ من المدينة وتذهب إلى عملها الحقيقي في قتال قوات الأسد على الجبهات.

أرقامٌ وجرائم

بحسب السجلات المركزيّة لهذا الجهاز الشرطي، بلغ عدد جرائم السرقة المرتكبة في شهر أيلول الفائت 125 جريمة، أوقف فيها 162 متهماً قدّموا إلى مجلس القضاء الموحد. ووقعت خلال الشهر التاسع أيضاً 16 جريمة قتل حققت فيها مراكز الشرطة الحرّة المختلفة ريفاً ومدينة، وتمّ اكتشاف الجناة في 11 جريمة منها. وتأتي العداوات الشخصية ومقاصد السرقة كأبرز الدوافع الجرمية لهذه الحالات.

جنوب دمشق... حيث يموت الناس بصمت

أنور موسى

في الأحياء الجنوبيّة من دمشق، تحدث الآن قصةٌ من قصص المأساة. فهناك، وتحت الحصار، لم يبقَ أمام السكان سوى أكل لحوم الكلاب والقطط.

تتألف المنطقة الجنوبية المحرّرة من أحياء: اليرموك . التضامن . فلسطين . الحجر الأسود . سيدي مقداد . يلدا . ببّيلا . بيت سحم . حجّيرة . البويضة . سبينة . القدم . العسالي . جزء من البهدلية . جزء من السيدة زينب. تشكّل هذه الأحياء منطقةً واحدةً يسهل التنقل بين أجزائها، وتتمركز في محيطها الكبير تشكيلاتٌ مختلفةٌ من قوات الأسد، فارضةً حولها حصاراً محكماً.

ستون ألفاً من المدنيّين المحاصرين في الأحياء المحرّرة من جنوب دمشق، يقارعون اليوم مصيراً كارثيّاً مع القصف المتواصل والخوف والجوع. ولا يبدو أن الفتوى الشرعية، التي أصدرها العلماء وخطباء المساجد، بالترخيص بأكل اللحوم المحرّمة؛ قد تركت أثراً في ضمير أحدٍ ما في هذا العالم، يستطيع أن يخفّف، ولو قليلاً، من هذه المعاناة الفظيعة والمستمرة منذ ثمانية أشهر وحتى اليوم. ومن الغريب فعلاً أن يعيش هذا العدد الكبير من البشر بلا غذاء أو ماء أو أيّ خدمات، طوال هذه المدّة، وخاصةً بعد أن أغلقت بشكل كامل آخر المنافذ التي كانت تمرّر القليل من المواد الغذائية، وكان آخرها المدخل الرئيسي لمخيّم اليرموك بجانب جامع البشير، حيث تتمركز قوةٌ مختلطةٌ من ميليشيا أحمد جبريل وشبّيحة شارع نسرين، وتمارس أبشع أنواع الجريمة. فيمكن لأيّ عنصر منها أن يقتل أيّ شخص يمرّ من هذا المعبر، فقد تصبح كيلوغرامات قليلة من الخضار سبباً لموت من يحملها أو اعتقاله وإرساله إلى ظلمات المقرّات الأمنية، أو أن يصير درعاً بشرياً يُستخدم في حالات الهجوم والدفاع. لا يفكّر الأهالي أبداً بالاقتراب من هذا الحاجز، ولا من غيره من الحواجز، بل يحاولون البحث عن شيءٍ يسدّ الرمق من تحت الأنقاض وبين أكوام النفايات ومن مطابخ البيوت التي هجرها أهلها ونزحوا، وأخيراً من لحوم الحيوانات الشاردة، كالكلاب والقطط والحمير.

عدسة أنور | مخيم اليرموك | خاص عين المدينة

لم يأكلوا خبزاً منذ شهرين

أمام المجلس المحلي في مخيم اليرموك تنتظر امرأةٌ في الخمسينيات من العمر أحداً ما من أعضاء المجلس، الذين يشعرون بعجز كبير عن فعل أيّ شيء. تبكي هذه المرأة وهي تتحدث عن ابنها الذي انشقّ عن تشكيلات القيادة العامة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وانضمّ الى كتيبة من كتائب الجيش الحر، وقاتل في صفوفها حتى استشهد ليترك زوجةً وأربعة أطفال، ليس لها همٌّ في الدنيا سوى إطعامهم. وتتساءل المرأة، وهي تخفي وجهها بمنديل قماشي تستخدمه العجائز: "كيف أطعمهم في هذه الظروف التي تحنُّ فيها حتى قلوب الكفار علينا؟". وتلوم هذه المرأة رفاق ابنها في الكتيبة التي قاتل فيها بعد انشقاقه لأنهم لم يعطوها بندقيته بعد أن استشهد، التي ترى أنها من حقّها لأن ابنها جلبها معه من "القيادة العامة"، وهي تريدها لكي تبيعها وتنفق على الأيتام الأربعة الذين لم يأكلوا الخبز منذ شهرين، ولم تستطع إطعامهم سوى وجبة واحدة في اليوم، وبحسب ما يتوافر من العدس أو البرغل، وفي أحسن الأحوال الأرز الذي بلغ سعره 800 ليرة للكيلو غرام الواحد. وليس لها من واردٍ ماليٍّ سوى 6000 ل.س يقدّمها المجلس المحلي كل شهر، ولا يكفيها هذا المبلغ لأكثر من أربعة أيام، وخاصّةً مع الارتفاع الحاد لأسعار المواد الغذائية.

الطعام تحت القصف

في أحد الشوارع الضيّقة، وعلى خطّ التماس المشتعل دوماً في حي التضامن، اجتمع خمسة عشر مقاتلاً من الجيش الحرّ بلباسهم الميدانيّ الكامل، لتناول الغداء حول لوح خشبيٍّ حُمل على الأحجار وعلى مقاعد محطمةٍ جُلبت كيفما اتفق لتُجلس هؤلاء الرجال الجائعين، الذين جاؤوا سيراً على الأقدام من يلدا وببيلا والحجر الأسود ليرابطوا في مدّة مناوبتهم، التي تستمرّ لنصف يوم في الحالات العاديّة ولأيام عدّةٍ في أوقات المعارك. كانت وجبة الغداء مؤلفةً من صحنٍ واسعٍ من "المجدّرة" إضافةً لإبريق ماء. دار الحديث حول اختيار أحمد طعمة الخضر رئيساً للوزراء، وكان التفاؤل بهذا الشخص هو رأي معظم هؤلاء المقاتلين الذين تتراوح أعمارهم بين 18 إلى 30 عاماً، ويتحدّرون بمعظمهم من الجولان، وكانوا يعملون قبل الثورة في حرف الخياطة ومصانع الألبسة أو تجاراً صغاراً على البسطات أو عمالاً في ورشات صيانة السيارات، ولا يفكّرون يوم سقوط النظام سوى بالعودة إلى بيوتهم وأعمالهم السابقة، بالرغم من الأصالة التي تُظهرها هيئاتهم كمقاتلين شرسين متخصصين بحرب الشوارع، وكأشخاص اعتادوا على فكرة أن يموت المرء بشظيةٍ وهو يقاتل أو يمشي أو يستريح على وجبة الغداء. وعندما سقطت قذيفةٌ قريبةٌ جداً لم يرتعب أحدٌ من الموجودين سوى "عين المدينة"، أما الشبان فقد واصلوا طعامهم وهم يدمدمون كنوع من العادة لا أكثر: "يا لطيف يا ستار"، دون أن يتساءلوا: أين سقطت القذيفة؟ بعد الغداء لم يكن هناك شاي، بل سائلٌ مغليٌّ أخضر هو مزيجٌ من الأعشاب والزهور الملتقطة من الأحراش والبساتين، وقد جُففت لتستخدم كبديلٍ عن الشاي، الذي بلغ ثمن الكيلو غرام الواحد منه 5000 ليرة.

عدسة أنور | خاص عين المدينة

تمتلك هذه المجموعة المقاتلة دراجتين هوائيّتين كوسيلتي نقل؛ واحدةٌ تبقى في المقرّ للخدمة والثانية جوّالةٌ لتوزيع الذخيرة والطعام على الأفراد أثناء المرابطة على خطوط التماس.

الممرّضة التي تقاتل في أوقات الفراغ

قبل الثورة، لم تكن لفاطمة (29 عاماً) صلةٌ بمهنة التمريض، ولكنها اليوم تعمل في مركزها الإسعافي الصغير كممرّضةٍ محترفةٍ وطبيبةٍ وجرّاحةٍ مبتدئة، وتبذل قصارى جهدها في العناية بالجرحى. تذكر فاطمة دافعين اثنين دفعاها للانخراط في هذا العمل الشاق؛ وهما، بحسب تعبيرها: إعلاء كلمة الله بعد أن كثر الظلم من نظام الأسد، وثانياً هروب الأطباء والكوادر الطبية من المنطقة. ترى فاطمة في مهنة الطب عملاً إنسانياً نبيلاً ونوعاً من أنواع الجهاد، وتقول إنها تشعر، حين تنجح في علاج مصاب، بأنها ملكت العالم كله. وعلى الفور تتغيّر ملامح وجهها وهي تفطن إلى الحقائق المؤلمة التي تواجهها كل يوم، من ندرة المواد والمستلزمات الطبية. وتقول إن اللحظات الأسوأ في حياتها هي حين تنظر إلى الجريح الذي يموت أمامها وتعجز عن فعل شيءٍ له، وخاصةً عندما يمكن أن ينقذه شيءٌ بسيطٌ مثل كيس السيروم، الذي ارتفع سعره إلى عشرة آلاف ليرة، إن توفّر، ففي معظم الأوقات يعدّ هذا الكيس من البضائع النادرة.

تزوجت فاطمة واحداً من المقاتلين. وهي تؤكد أن زوجها لم يحاول أن يبعدها عن مهنتها التطوعية، إنما يشجّعها دائماً ويساعدها في أوقات فراغه. وبالمقابل تساعده هي أيضاً في أوقات فراغها، فتحمل البندقية وتمضي إلى الخطوط الأولى في الجبهات لتقاتل هناك مثل أي مقاتلٍ محترف. فاطمة، تلك الشابة من حوران، أنموذجٌ مميّزٌ من نماذج المرأة السورية الثائرة.

فاطمة

لائحة الأسعار بالليرة السورية:

كغ سكر: 1000
كغ شاي: 5000
كغ برغل: 400
كغ رز: 800
ليتر البنزين: 2500
كغ التبغ الفرط: 15000
علبة الحمراء الطويلة: 1000

العبوات الناسفة...

موتٌ بطعم المفاجأة!

بلال عبد القادر

للموت طعمٌ مختلفٌ حين يأتيك مصحوباً بانفجار عبوةٍ ناسفة. إنه يحمل طعم المفاجأة، تلك التي ينتفي وجودها مع ألوانٍ أخرى للموت. فأزيز الطائرة، مثلاً، قد يمنحك فرصة مراقبة شبح الموت حين يطوف حولك، أما العبوة فقد يتصيّدك الموت الخاص بها أمام أي مفرق.

كانت هذه الأفكار تدور في ذهن الشاب "ن. ق"، وقد عبّر لنا عنها في سياق حديثه عن الإصابة التي تعرض لها منذ أيام، أثناء انفجار عبوةٍ ناسفةٍ بالقرب من الحديقة العامة في مدينة "الميادين". تسبب الانفجار بخسارة الشاب أحد أطرافه. وبينما كان يتحسس موضع إصابته تابع بالقول: كان خوفنا مرتبطاً بشكل أساسي بأزيز الطائرات وما يتبعه من قصفٍ ودماء، ولكن منذ مدة صار هاجس الأهالي هنا العبوات الناسفة، تلك التي لم تعرفها المدينة من قبل، ولا يوجد في ذاكرة الأهالي عنها إلا ما يمكن مشاهدته في شاشات التلفزة. منذ أيام كنت . كأيّ شاب . أسير في الشارع بأطرافي الأربعة، وبعد الانفجار عدت إلى بيتنا بثلاثة أطراف. دون أي مقدماتٍ ارتفع عالياً، وبشكل فجائي، صوتٌ قويٌ لم أتبين لحظتها ماهيته إلا بعد أن شعرت بجسدي يرتفع ثم ينخفض لأرتطم بالأرض، ويدي التي كانت جزءاً مني قبل لحظاتٍ رأيتها مرميةً على بعد خطواتٍ مني. كان الألم رهيباً، والناس واجمة مذهولة. وما هي إلا لحظاتٌ حتى بدأ الناس بالتدفّق إلى مكان السيارة التي انفجرت للتوّ. هنا أدركت أنني لم أكن أحلم، وأن يدي التي نأت عني، وكذلك سيارة "الكيّا" التي تهشّمت، كانت حقيقة، حقيقة سترافقني إلى الأبد بدلاً عن يدي التي فارقتها إلى الأبد.

إجراءاتٌ لا بد منها

وللحديث عن الإجراءات التي يمكن اتباعها في حال وجود عبوة ناسفة، التقينا بالسيد "ع. م"، المسؤول الإغاثي في إحدى الجمعيات الخيرية العاملة في "الميادين"، والذي أفادنا بالقول: في حال وجود أي شكٍ بأي شيءٍ غريب، أو في غير موضعه، تجب المبادرة إلى استدعاء مختصّين

الميادين | سيارة مفخخة بعد التفجير

أو أشخاصٍ مشهودٍ لهم بحسن التصرف على أقل تقدير. بالإضافة إلى وجوب الابتعاد عن المقرّات الأمنية قدر الإمكان، والحذر من السيارات ذات الصندوق الخلفي مثل سيارة "الكيّا"، لأنها تستخدم أكثر من غيرها في التفجيرات، مع تجنّب السير في شارع ضيّق، بحيث يكون الشخص بين سياراتٍ مصطفةٍ وجدار، للتخفيف من الضرر في حال تصادف أن كانت إحداها مفخّخة. كما ينصح باستخدام الشوارع الفرعية الموازية للشارع العام إن أمكن، وذلك لتجنب الاحتشاد والتخفيف من الزحام قدر الإمكان.

وفي حال حدوث التفجير يجب الانتباه إلى ضرورة البحث عمن يمكن أن يقوم بالإسعاف الأولي، وتوخّي الحذر أثناء نقل الجرحى إلى المشفى. ومن المهم هنا الإشارة إلى ضرورة عدم التجمهر بعد التفجير، لأن السيارة المفخّخة قد تعقبها سيارة أخرى.

خطّان متوازيان ملوّنان...

الحياة والموت

وعن تعامل الناس عموماً مع هذه الظاهرة المخيفة التقينا السيدة سعاد الحمد، التي قالت: اجتاح الخوف من العبوات الناسفة مدينة "الميادين"، وخصوصاً مع إدراك الناس صعوبة السيطرة على هذا الأمر في المرحلة الحالية. ولكن هناك سؤال لا بد منه هنا؛ هل يمكن لهذه العبوات أن تجعل الناس تقلع عن مواصلة حياتها اليومية؟

لا أعتقد ذلك. سنظل نرسل أولادنا إلى المدارس، ونذهب مع كل صباح إلى أعمالنا، وسنظل نرتاد الأسواق لنواصلَ حياتنا، وقد نأخذ أطفالنا بين الفينة والأخرى إلى الحدائق العامة. ليس بطولةً منا، ولكن لأنه لا خيار لدينا ببساطةٍ إلا أن نواجه كل هذا الموت الملوّن بالمزيد من ألوان الحياة.

يومٌ مع تجّار الآثار

عمر ظافر

لم تكن الرحلة بين البوكمال والميادين رحلةً عاديّةً لـ"عين المدينة"، فالتجسّس على تجار الحروب والاطّلاع على بعض عوالمهم وأسرارهم شيءٌ لا يحدث كل يوم.

في سيارةٍ فاخرة، ومع تاجري آثار وسمسار لهما، كانت رحلتنا القصيرة لكنّ المليئة بالحقائق المؤسفة التي تثقل كاهل الثورة والناس.

أشرار هذه المغامرة سوريون للأسف، والمؤسف أيضاً أن لا أبطال فيها؛ ثامر السمسار وأحمد التاجر وشريكه خالد، هذان الأخيران اللذان كانا يحمدان الله أنهما تركا العمل بتكرير النفط. "الحمد لله الذي أبعدنا عن الحرام" قال خالد.

سؤالٌ وجواب

أثناء الطريق كان ثامر يروي للتاجرين قصة قطعةٍ أثريةٍ وجدها أحد المنقّبين ويريد ثمنها 75 ألف ليرة سورية. ثم أخرج لهما الصور ليشاهداها، فإذا بقطعةٍ تشابه تمثال ربّة الينبوع، وجدها أحد الحفّارين في منطقة ماري بالقرب من البوكمال. ولأنه جاهلٌ بالقيمة الحقيقية لمثل هذه القطع الأثرية، اصطاده السمسار ليكون فريسةً لهذين التاجرين، اللذين اتفقا بعد نزول السمسار من السيارة. أن سعرها 5 ملايين ليرة سورية، وأن يدفعا للسمسار 100 ألف.

هنا امتلكنا الجرأة لنسأل: "وهل تجارة الآثار حلال؟" فأجابنا أحمد: "نعم. نحن لدينا فتوى من عدّة شيوخ أن تجارة الآثار ليست حراماً، فهي لا تؤذي المسلمين".

لم ينتهِ الحوار إذ سألنا: "ألا يضايقكم الجيش الحرّ في عملكم، أو يسألوكم عن هذه القطع الأثرية أين هي؟" فضحك خالد مستهزئاً وقال: "جميعهم أبناء عمّنا، ونمون عليهم".

وقد أضحكتني جملةٌ قالها خالد: "لا يضايقنا أحدٌ سوى الإعلاميين، الذين يستشرفون علينا وهم من دمّر البلد بكذبهم!".

تجارةٌ عامّة

كنا نحسب أن هذين التاجرين اختصّا بتجارة الآثار، لكن الذهول أصابنا عندما أجاب أحمد على مكالمةٍ هاتفيةٍ أبلغه أحد السماسرة فيها أن التاجر التركي عرض أن يدفع ثمن رأس حفارةٍ نفطيةٍ 9 ملايين فقط، فغضب أحمد وقال مجيباً: "أقلّ من 15 مليون ما تويّفي معي!".

أثناء ذلك كان خالدٌ يحدّثنا عن قطعةٍ أثريةٍ يقول إنها تعود إلى العصر العباسي، اشتروها من أحد عناصر الجيش الحرّ، الذي قال إنه استخرجها من السوق المقبي في مدينة دير الزور.

ورغم ذلك لم تنتهِ الصفقات، إذ روى لنا خالدٌ قصة بيعهم لهجن عربيةٍ أصيلةٍ قدّمها أحد أمراء الخليج هديةً لمحميّة التليلة الطبيعية، ولكنها فرّت من المحميّة فأمسكها أحد الصيادين الهواة، فاشتروها منه وباعوها بمبلغ 4 مليون ليرة سورية.

وبعد أن فرغنا من استعراض عضلاتهما التجارية سألناهما: "أنتما تعملان في التجارة العامة إذاً؟" فأجابا: "لا. نحن فقط نتاجر بالآثار، لكن لا مانع من بعض الصفقات الرابحة. ورب العالمين بارك بالتجارة".

تساؤلاتٌ ذاتية

انتهت الرحلة العجيبة وبقيت لدينا تساؤلاتٌ لا يجيد هذان التاجران الإجابة عنها، وهي مَن هذا الذي يفتي لهؤلاء الأشخاص بجواز التجارة بالآثار وممتلكات البلاد الطبيعية والتاريخية؟ أين الجيش الحرّ وأين القسَم الذي أقسمه على حماية الشعب والبلد؟ أين الناشطون والإعلاميون عنهم؟ وكيف تغيب عن الرقابة الإعلامية، على أقل تقدير، هكذا شريحةٌ من تجار الدم الذين يعبثون بتاريخ الوطن ومقدّراته دون أن يأبهوا لشيء؟

حفريات غير مشروعة في دير الزور | من موقع المديرية العامة للآثار والمتاحف

ثم مَن هذا العنصر الذي يسرق آثار مدينته ليبيعها بدل أن يقف على الجبهات ويقاتل ذوداً عن هذه القطعة التي سرقها؟ وكيف يدخل التجار الأجانب إلى داخل البلاد ويشترون ويبيعون دون أن يكون عليهم رقيب؟ ثم أين الجيش الحرّ الذي يسيطر على المعابر الحدودية ويسمح بخروج الآثار ورؤوس الحفارات النفطية وغيرها من الأملاك العامة؟

قد يكون هذان التاجران العابثان، وغيرهما، من ضعاف النفوس الذين يلهثون وراء المال؛ لكن من حقنا أن نسأل أين أصحاب النفوس الأبيّة؟ أين من يغار على بلده، ومن خرج ضد سرقة خيراته وحضارته؟ وأين حملة السلاح من الجيش الحرّ، الذين يلتهون اليوم بالاقتتال فيما بينهم وقد تركوا البلاد فوضى لهؤلاء اللصوص؟ وفي النهاية... لا بد من التذكير بأن من يستحق العيش على هذه الأرض الطيبة هو الذي يصونها ويحميها من جهل العامّة وتسلّط الطغاة.

سورية.. وراء در!!

د. ممتاز الشيخ

هذه لقطاتٌ عابرةٌ من حياة سورية بعد الاستقلال مباشرة، وكانت آنذاك تعجّ بالحركة والأحزاب المتناقضة في أيديولوجياتها ومناهجها، لكنها لم تعرف بعد إلغاء الآخر.

يتذكر السوريون مرحلة ما بعد الاستقلال بكثير من الحنين، وينقلون صورة المجتمع الذي كان على درجةٍ من الوعي والديموقراطية التي لم تكتمل حلقاتها، ويجمعون مشاهد وصوراً جديرةً بأن تخلّدها الذاكرة. ومما يذكرون كيف أن الشاعر عمر أبو ريشة اعتلى المنصّة وألقى قصيدته الشهيرة بحضور جمهورٍ غفير، كان رئيس الوزراء السوري آنذاك، جميل مردم بك، بينهم في القاعة. ومن أبياتها:

أمـــتي هل لك بين الأمـــم ... منبرٌ للسيف أو للقلـــم
كيف أغضيتِ على الذلِّ ولَم ... تنفضي عنك غبار التُهَمَ
ودَعي القـــادة في أهوائها ... تتفانى في خسيس المغنَمَ
ربَّ وامعتصمـــاه انطلقت ... ملء أفـواه الصبايا اليتّمَ
لامست أسماعـــها لكنها ... لم تلامس نخوة المعتصمَ
أمتـــي كم صنم مجّدتِه ... لم يكن يحمل طهر الصنمَ
لا يُلام الذئـــب في عدوانـــه ... إن يكُ الراعي عدوّ الغنمَ
فاحبسي الشكوى فلولاكِ لما ... كان في الحكم عبيد الدرهمَ
إن أرحـــام البغـايا لم تلد ... مجرمـاً مثل هذا المجرمَ
كيف ترجـــو أمةٌ عزّتـــها ... وبها مثـــلُ جميل المردمَ

وفي قصةٍ أخرى تحمل الدلالة نفسها على الجوّ العام الذي يحمل بذور ليبرالية نسيها السوريون، حين اعتصم طلاب جامعة دمشق في مكتب وزير الاقتصاد آنذاك، رزق الله الأنطاكي، احتجاجاً على موافقة الحكومة السورية على إبرام صفقة تصدير القمح السوري إلى فرنسا؛ وكانت النتيجة أن ألغيت الصفقة تحت ضغط الجماهير التي كانت تتضامن مع الشعب الجزائري في نضاله ضد المستعمر الفرنسي. كان الشعب السوري يتمتع بقدرةٍ هائلةٍ على الاحتجاج، ولم تكن سوريا قد دخلت بعد دائرة الخوف.

ولدى استعراض حالاتٍ مشابهةٍ يمكننا الوصول إلى شهاداتٍ كثيرةٍ تلهم الذاكرة بأحداثها ورجالاتها، وتشير إلى أن المجتمع السوري كان في حالةٍ متقدمةٍ من الوعي والليبرالية، كما كان بعيداً عن التزمّت والطائفية والمفاهيم المغلقة، بدليل أن حسني الزعيم، وهو كردي الأصل، وصل إلى سدّة الرئاسة دون التركيز من قبل المجتمع على الانتماء العرقي، بقدر ما كان التركيز على طبيعة الانقلاب العسكري والقوى التي وقفت وراءه. كما استلم فوزي سلو رئاسة سورية خلال أعوام 1951ـ 1953، وهو كذلك من أصول كردية. وفي حالاتٍ أخرى شغل المسيحيون والدروز والشراكس والإسماعيليون مناصب رفيعةً في تاريخ الدولة السورية، دون أن يستكثر المجتمع مرةً واحدةً على أيٍّ من تلك الحالات، إلا من زاوية الإخلاص للمهمة الموكلة لأيٍّ منهم. حتى أن ذاكرة السوريين ما زالت تحفظ، بكثيرٍ من التبجيل، أعمال رجالاتٍ من غير الأكثرية أخلصوا لوطنهم، بغض النظر عن دينهم أو طائفتهم، مثل فارس الخوري (المسيحي) الذي تولى مناصب عديدة ومهمة منها رئاسة الوزراء، أي صاحب السلطة التنفيذية الأولى في البلد ذي الغالبية المسلمة.

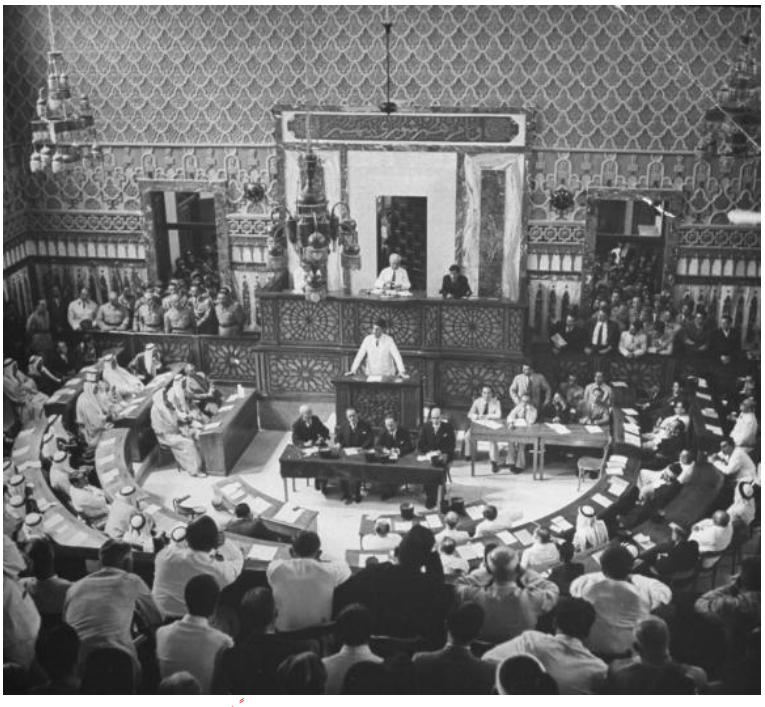

الرئيس شكري القوتلي يلقي خطاباً أمام البرلمان السوري عام 1943
من صفحة "التاريخ السوري"

صمتت سورية فجأةً وتوقّفت الحياة السياسية فيها بحجة الاستقرار وسيطرة الحزب الواحد والقائد الواحد، وتصحّرت الحياة بكل نواحيها، وتحوّلت إلى مدجنة!! لباسٌ موحّدٌ وهتافٌ واحدٌ للقائد، وحزبٌ واحدٌ بشعاراتٍ تصرخ بها حناجر الصغار في المدارس قبل الدخول إلى غرف الصف، دون أن يتحقق أيٌّ منها طيلة أكثر من نصف قرن... وخطاباتٌ صفّق لها الكبار بين جدران القاعات، دون أن نجد لكلماتها اليوم أثراً أو تجسيداً في مكان.

ما الثورة؟

محمد عثمان

ومنذ أعوام الستينيات دخلت سورية في عهد القمع، عهد أقبية الأمن والبوط العسكري. وتم دفن بوادر المشروع الليبرالي السوري الناشئ نهائياً في عنابر الزمن العسكري. ومنذ ذلك التاريخ تراكم القمع نوعياً وكمياً. ومع تفاقم الأخير لم يكن يتقدّم سوى الخوف والتخلف على كل المستويات. وهكذا دفع التخلف في السياسة إلى تخلفٍ في جميع مناحي الحياة الأخرى. يتعذّر على الخوف أن يبني وطناً، ومن لا يكترث لهذه المقولة فلينظر إلى خارطة العالم.

استغل بعض العسكريين الأجواء الليبرالية وبدأت مشاريعهم الطائفية الضيقة تطفو على السطح مستغلة الانقلابات الكثيرة. وبشكل سريٍّ تم تشكيل "اللجنة العسكرية" في العام 1961، وهي التي تتألف من (محمد عمران وصلاح جديد وحافظ الأسد (من الطائفة العلوية)، وأحمد المير وعبد الكريم الجندي (من الطائفة الإسماعيلية). وبدأت مخططاتهم السرية تأخذ حيّز التنفيذ حين تسنّى لهم إنجاز انقلاب 1963. ومرة أخرى أحدثوا انقلاب 1966، وخلاله تم إقصاء "القيادة التاريخية" لحزب البعث. ثم أفرغوا الجيش من خيرة الضباط ممن ينتمون إلى الطائفة السنّية، لأسباب مختلفة، وكان لذلك أثرٌ مباشرٌ في نكسة حزيران 1967. وأخيراً انقلب حافظ الأسد على رفاقه أعضاء اللجنة، وقام بانقلابه الذي استولى فيه على السلطة عام 1970، وسجن رفاق العهد حتى نهاية حياتهم (صلاح جديد)، وقضى البعض الآخر اغتيالاً (محمد عمران). وبدأ مشروع تقزيم سورية على مقاس حاكمها الضيق، فضاع إرث الشعب العظيم الذي واجه الحكم العثماني والاستعمار الفرنسي، وخرج برجالات البرجوازية الوطنية بعد الاستقلال. ونذكر رجالاً لا زالت أسماؤهم حاضرةً في ذاكرتنا، أمثال شكري القوتلي وهاشم الأتاسي وماري عجمي وسلطان باشا الأطرش وعبد الرحمن الشهبندر وميشيل عفلق وجلال السيد وياسين الحافظ وخالد العظم وفارس الخوري وعبد السلام العجيلي ومصطفى السباعي، وغيرهم المئات. بموازاة ذلك كان منحنى تراكم وتفاقم القمع في سوريا صاعداً نوعياً وكمياً.

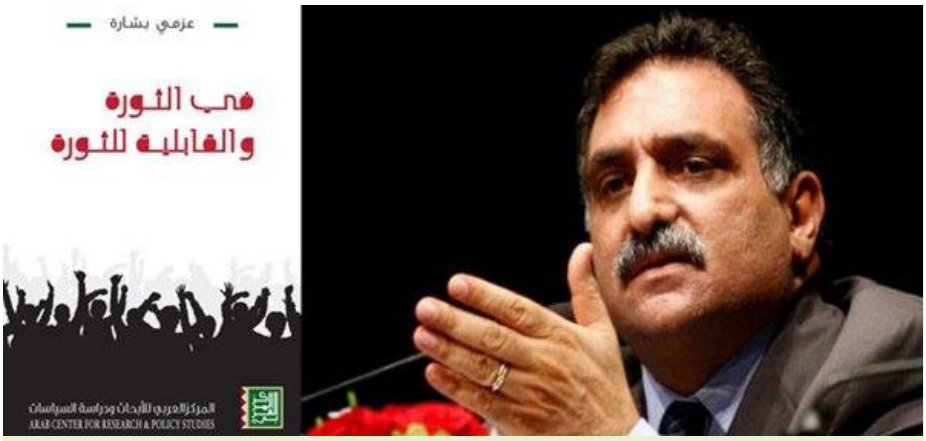

في الثورة والقابليّة للثورة. د. عزمي بشارة. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012

ليس هناك تحديدٌ علميٌّ دقيقٌ لمفهوم الثورة، إذ إن هذه الكلمة تطلق كتسميةٍ لعددٍ كبيرٍ من الظواهر المختلفة، وتتّسع لأي تحرّكٍ مسلّح أو غير مسلّح، ضد نظام ما، بهدف استبداله. ولا تبدو محاولات تأسيس نظريّةٍ في الثورة مفيدة، لأنها استنتاجاتٌ مشتقّةٌ غالباً من تجربةٍ أو تجارب ثوريّةٍ، مما يجعلها قابلةً دوماً للدحض، أو للتحديث بشكلٍ مستمرّ.

ولم يستخدم المؤرّخون العرب القدماء هذه الكلمة بالمعنى المعروف الآن، بل استعملوا بدلاً عنها كلماتٍ من نوع «الخروج»، الذي اختلفوا في شأنه عندما يكون خروجاً على السلطان المسلم الغاشم، بين التحريم والإيجاب، أو «الفتنة»، التي تشير عادةً إلى الصراع الأهلي الذي يؤدّي إلى تقويض وحدة الجماعة المسلمة.

وحين انتقل استخدام الكلمة اللاتينيّة revolution من كونها مصطلحاً فلكياً يعني حركة النجوم حول محورٍ ما وعودتها إلى النقطة التي انطلقت منها، إلى ميادين السياسة والاجتماع والتاريخ؛ اكتشف ثوّار العصور الحديثة أنّ الكلمة خرجت من دلالتها الأصليّة، من «إعادة» السلطة إلى أصحابها الطبيعيّين، و«استعادة» الحقوق التي سلبها الحكّام، وصارت تعني تأسيس نظامٍ جديدٍ كامل، لم يكون مقصوداً في البدايّة، أو لم يكن الثوّار واعين له حين بدأوا تحرّكهم. ويبدو هذا واضحاً في حالتَي الثورتين الفرنسيّة والأمريكيّة على سبيل المثال.

ومن هنا فإن «الثورة» التي لم تصل على التغيير الشامل في المجتمع وحكمه هي ثورةٌ منقوصةٌ أو تدرّجٌ إصلاحيٌّ لم يكتمل. وهذا ما يقدّمه نموذجا تونس ومصر في الربيع العربي، حين انحاز جزءٌ فاعلٌ (الجيش) من النظام إلى مطالب المحتجّين، وضحّى برأس الحكم وبعض ركائزه، وتلا ذلك إصلاحٌ سياسيٌّ للنظام القائم، مترافقاً مع ضغط الجماهير في الشارع وعبر بعض التشكيلات.

ولكن، متى تقوم الثورة؟ من الصعب تقديم إجابةٍ هندسيّة على هذا السؤال، ولكن تراكم النقمة الشعبيّة ضدّ النظام هي الأساس، بسبب التسلّط والإذلال والفساد والفقر وهشاشة الأمان الاجتماعي والإنساني... وغيرها، مما قد يؤدّي إلى نشوب ثورةٍ شعبيّةٍ لا تقوم على أساس برنامجٍ مسبقٍ يستند إلى رؤيةٍ أيديولوجيّةٍ معيّنة. ولعلّ هذا هو الحال الأفضل، إذ إن الثورات التي قادها حزبٌ ببرنامجٍ مفصّلٍ وشامل، غالباً ما استبدلت استبداداً باستبداد. ولكن غياباً تامّاً للبرنامج السياسيّ المتّفق عليه بشكلٍ واسعٍ، أمرٌ ينبغي ألا يبعث على الاطمئنان أيضاً، لأنّه ربما يؤدّي إلى تصدّر قوىً مجتمعيّةٍ غير مسيّسةٍ للمشهد، وإلى انشقاقاتٍ وشروخٍ كبرى في المجتمع والدولة.

استقلال القضاء السوري
ضرورةٌ لتحـقيق العــدالة

المستشار قيس الشيخ

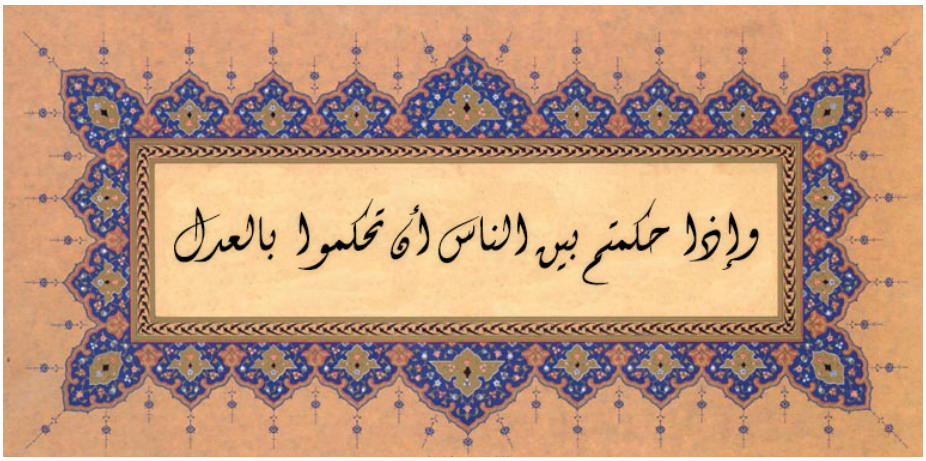

منذ أوجد الاستعمار دولة سورية باتفاقية سايكس بيكو، التي هدفت إلى تجزئة العالم العربي، عملت حكومة الانتداب الفرنسي وما تلاها من حكومات بعد الاستقلال، التي جاءت بها الانقلابات، على تكريس السلطة التنفيذية كسلطةٍ مطلقةٍ تنبع منها كل السلطات والحقوق، مع تقليص دور السلطات الأخرى، وبخاصة السلطة القضائية، حتى لا تكون مراقبةً على السلطة التنفيذية، وحكماً في تجاوزاتها على الحقوق، ومانعاً لها من الاستغلال، والاستئثار، ونهب مقدرات الشعب، والانفراد بقراراته.

ولم تكن الفترات القليلة التي ملك فيها الشعب زمامه كافيةً لتعديل هذا الواقع، لقصر تلك الفترات من جهة، ولمناهضة مؤيدي السلطة القمعية لأي توجهٍ بهذا المجال، من جهةٍ أخرى... وهكذا عملت هذه الحكومات على تقسيم القضاء بين مرجعياتٍ مختلفة تتبع جميعها السلطة التنفيذية، حتى لا تكون كتلةً واحدةً تقف في وجه تسلّطها. فتبع القضاء العادي لوزير العدل (فعلاً)، وأتبع القضاء العسكري لوزير الدفاع، والقضاء الإداري لرئاسة مجلس الوزراء، والقضاء العقاري لوزير الزراعة، والمحكمة الدستورية لرئاسة الجمهورية. ومُنحت الجهات التي يتبعها القضاء صلاحياتٍ واسعةً في التعيين، والنقل، والندب، والتأديب، والعزل... بحيث حُوّل القضاة إلى موظفين تتحكم برواتبهم، وأعمالهم السلطة التنفيذية التي أضحت لها اليد الطولى في التعيين، والتمديد، والعزل، وتحديد الرواتب، وسن التقاعد... إلى غير ذلك من شؤونهم الأساسية. ولم تكتفِ الحكومات بهذا، بل مدّت يدها لجهات التوثيق التي تتبع القضاء في الطعن بما تقرره، والتي هي مستند الحقوق، وأحوال المواطنين... فعزلتها عن مؤسسة العدل، وألحقتها بجهاتٍ تنفيذيةٍ أخرى، فأتبع السجل العقاري إلى وزارة الزراعة والإصلاح الزراعي، وأتبع السجل التجاري والصناعي إلى وزارة التجارة، وأتبع سجل الأحوال المدنية إلى وزارة الداخلية، وأتبع الكتّاب بالعدل إلى وزارة العدل، مع صلاحياتٍ واسعةٍ للوزراء على هذه الجهات الموثقة للحقوق والأحوال. وكل ذلك كي تبقى السلطة التنفيذية حكماً فيما يُنفذ أو لا يُنفذ من قرارات قضائية بهذا الشأن، تحت غطاء مسؤولية الوزراء السياسية.

كما أن الجهات المساعدة للقضاء أضحت عبارة عن أداة بيد السلطة التنفيذية، تعيق ما تشاء من قراراته، وتفرض ما تريد، أو تُؤخره، فتحكمت بنقابات المحامين، وهيئة قضايا الدولة، ومخابر الأدلة الجنائية، والطب الشرعي، والضابطة القضائية... ولقد أدى ذلك كله إلى تشتت القضاء، وتضارب أحكامه، وغلّ يده عن تنفيذها إذا تعلقت بحقٍ لا تريده السلطة التنفيذية. كما أدى إلى تحكم السلطة التنفيذية التابعة للحاكم المطلق الصلاحية بالقضاء والقضاة، مما أفسد القضاء بعد أن دسّوا في صفوفه من يرضونه منفذاً لإرادتهم، بعد أن عملت الشهوات، ورغبة الترقي، وأخذ الميزات للتقرب من السلطة لكسب رضائها طالما بيدها كل حقوقهم... فأخلّ ذلك بالعدالة، وأفقد الشعب الثقة بمؤسساتها.

ولعل أحد أهم أسباب ما تواجهه سوريا اليوم يعود لاهتزاز الثقة بركن العدالة الذي هو أساس الملك، وضمانة الاستقرار، والحامي للحقوق، والملزم بالواجبات. مما يستلزم إعادة توحيد هذه الجهات تحت مظلةٍ قضائيةٍ واحدة، تعمل لترسيخ استقلاله والتنسيق بين جهاته ورعايتها وتطويرها، ليكون القضاء ميزان العدل، ومظلة الحق التي تجمع الشعب في ظلها، مع إتباع جهات توثيق الحقوق لجهةٍ واحدةٍ تعمل في اطار القانون لا وفق أوامر السلطة، وتحت رقابة القضاء. إن أي عملٍ في مجال السلطة القضائية لا يلحظ هذه الحقائق، ويستمر بالعمل وفق تشكيلاتٍ سابقةٍ اتضح سوءُها، هو عملٌ يكرّس واقع الأنظمة الديكتاتورية ويتجاهل أحد أسباب وهن القضاء.

قائد الممانعة يقضي على البطالة..

ويمنح مكافأةً مجزيةً لمن يقبض على إرهابيّ!

عبيدة الحمصي

في سابقةٍ فريدةٍ من نوعها، تعلن العصابة الأمنية للمدعو بشار الأسد والملقب بسفاح القرن الواحد والعشرين، ابن الديكتاتور حافظ الأسد بائع الجولان، وحفيد علي الأسد الذي توسّل إلى الاحتلال الفرنسي قبل جلائه عن سوريا بتأسيس دويلةٍ في الساحل؛ تعلن هذه العصابة (الكريمة) عبر شاشة تلفزيونها الرسمي الممانع (الكريم) أن حكومة بشار الأسد "رصدت مكافأةً ماليةً قدرها 500 ألف ليرةٍ سوريةٍ لأيّ (شخص) يقوم بتسليم أحد الإرهابيين من غير السوريين، و200 ألف ليرةٍ سوريةٍ لكل من يبلّغ عن تواجدهم أو من يساعد بالقبض عليهم".

أثار هذا الإعلان شهية المدنيّين في الكانتونات المؤيّدة في حمص ودمشق وحلب وحماة، وأسال لعاب عناصر جيش الدفاع الوطني. فلأوّل مرةٍ يكلّفهم سيادة الرئيس بالقيام بأعمالٍ أمنيّة، أسوةً ببواسل الجيش (العربي) السوري بحلّته الإيرانية الروسية الجديدة. والمكافأة، بحسب ما قال أبو حيدر، أحد أهم عناصر حراسة رامي مخلوف، ستخلق فرص عملٍ جديدةٍ تساعد مؤيّدي حفيد الانفصالي علي الأسد على تحسين ظروف معيشتهم، خصوصاً أنهم يجلسون في بيوتهم لا شغلة ولا عملة، وباتوا يشكلون عبئاً على قائد الوطن، وهم يتوقون إلى المشاركة في الدفاع عن هذا القائد ومحاربة أعدائه الإرهابيين السلفيين الصهاينة!

يقول أحد جهابذة النظام عن هذا الإعلان إنه يوضح عبقرية السيد الرئيس وحكمته. وهذا الجهبذ هو الشبّيح (الكريم) علي عباس، رئيس قسم الأخبار الرياضية في جريدة (بلدنا) لصاحبها الممانع (الكريم) بهجت سليمان سفير النظام (الكريم) في الأردن. وللأمانة فإن (علي عباس) ذو منكبين عريضين بطريقةٍ متطرّفةٍ وعضلاتٍ مفتولة، وهذا يتلاءم مع مهنته السابقة، قبل تقطيع أصابع أطفال حوران في آذار عام 2011، حين كان يعمل حارساً شخصياً (....) يقف على باب الجريدة بشموخ، وبيده عبوة كوكا كولا دسّ بداخلها (فودكا)، مشروبه الكحولي الروسي المفضل. ونظراً لوطنيّته المفرطة بحبّ روسيا، وعضلاته المفتولة بلا شهادةٍ جامعية، ارتأت إدارة جريدة بلدنا تعيينه رئيساً لقسم الرياضة. ومنذ ذلك الحين صار يطلب يومياً من المحرّرين في قسمه نشر أخبارٍ عن المباراة المهمة بين ريال مدريد وبرشلونة، فهو يعتقد أن هذين الفريقين يخوضان مباراةً بينهما يومياً!

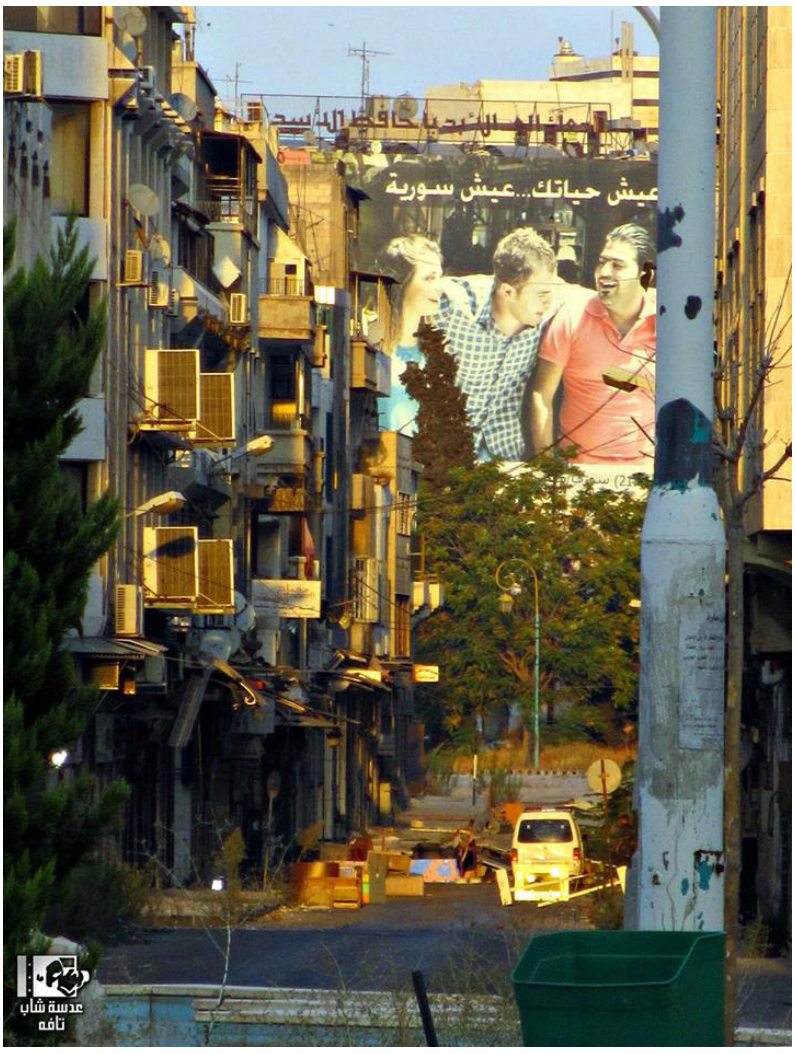

شارع الدبلان بحمص | من صفحة "عدسة شاب تافه"

ليست المكافأة مغريةً ومحفزّةً للمواطنين، الذين اعتبرهم رامي مخلوف شركاءه في حب الوطن، بل محفزة لوزير المصالحة الوطنية وتبويس الشوارب علي حيدر، (أو حيدر علي.. لا فرق). فقد أفادت تسريباتٌ نقلها أحد المندسّين بأمانةٍ أن مذيع قناة الدنيا الجهبذ (الوطني) نزار الفرّا قد أدلى برأيه حول هذه المكافأة (الوطنية) على أدراج مبنى القناة، وكان سعيداً جداً برفقة إحدى المذيعات بحسب ما أفاد المندسّ، وقد قال لها موضحاً الإعلان: "أسماء الأشخاص الذين سيبلّغون عن الإرهابيين ستبقى سرّيّة، وسيتم تأمين الحماية لهم". ولكن أهم ما قاله الجهبذ نزار حول المكافأة هو: "يا عزيزتي.. سوف تتم تسوية أوضاع كل من يخبر عن إرهابي، حتى لو كان من المطلوبين أمنياً". وهذا يطرح تساؤلاً حقوقياً يبدو في غاية عدم الأهمية: هل يحق لإرهابيٍّ ملاحق بتهمة (حيازة دبابة) أو تهمة (خدش الشعور الوطني) أن يبلّغ عن زميله (الحائز دبابة) أو (خادش الشعور الوطني) وينفذ بجلده وفي جيبه مكافأة الخمسمئة ألف ليرة؟ يتساءل مراقبون!

قنّاصو الأجنّة

من صحيفة ذي تلغراف البريطانية

استطاع الطبيب البريطاني دافيد نووت، الجرّاح في مستشفى ويستمنستر وتشيلسي في لندن، أن يدخل الأراضي السورية المحرّرة ليشارك في مساعدة الجرحى جرّاء حرب الإبادة التي يخوضها بشار الأسد ضد الشعب السوري.

كان دافيد قد سمع عن هول هذه الحرب ورأى صوراً ومشاهد كثيرة، لكنه لم يكن يتخيل المأساة بهذا الحجم، خصوصاً بعد أن جاء بنفسه إلى المناطق المتوترة.

وأجرى الطبيب العديد من الصور الشعاعية لنساءٍ حوامل جرحى، والتي تظهر فيها الرصاصة مستقرّةً في رأس أحد الأجنة. وما أثار استغرابه هو وصول عددٍ كبير من هذه الحالة إلى مقرّه حيث تتم معالجتهن.

ونقل عن الطبيب نووت قوله إنّ قناصة النظام يوجّهون نيرانهم على النساء الحوامل اللواتي يمشين في شوارع المدن المحاصرة، متعمّدين قنص الأجنة بغية التدريب على المهارة والدقة التقنية في استخدام السلاح. كما لا يخفى جانب التسلية من قبل أولئك المجرمين الذين يسعون لقضاء الوقت بالقضاء على أرواح بريئة لم تهتف للحرية بعد. وبعد الاطّلاع على النتائج يقوم القائد المسؤول عنهم بمكافأة أمهر قناص فيهم بجائزةٍ لا تتعدى علبة سجائر واحدة.

ويختم الطبيب قوله بأنه رأى حالاتٍ لا تعدّ من هذا النوع، غير أن القنّاصة يحبّذون استهداف الحوامل اللواتي على وشك المخاض، وذلك لانتفاخ البطن إلى الحد الأقصى وسهولة التصويب على الجنين.

د. ديفيد نووت

الأمير تميم يطلق النار على أبيه!!

لا فرق كبيراً بين شبّيحين أحدهما مثقفٌ وحاصلٌ على شهادةٍ جامعيّةٍ والآخر أميٌّ يعمل على بسطةٍ تحت جسر الرئيس، فكلاهما يؤمنان بالمؤامرة، ويقدّسان عائلة الأسد، ويصدّقان الخرافات الحديثة التي تضخّها المخيّلة السوقيّة لفريق الشبيحة والمؤيّدين.

فعلى صفحة شبيح يطلق على نفسه اسم "إمبراطور مساكن برزة الأسدي" ظهرت مشاركة من صاحب الصفحة لقصةٍ قصيرةٍ جداً ـ لا يُعلم مصدرها ـ تفيد بأن حاكم قطر الشاب الأمير تميم أطلق ثلاث رصاصات على بطن والده حمد. وفي التعليق يكتب...

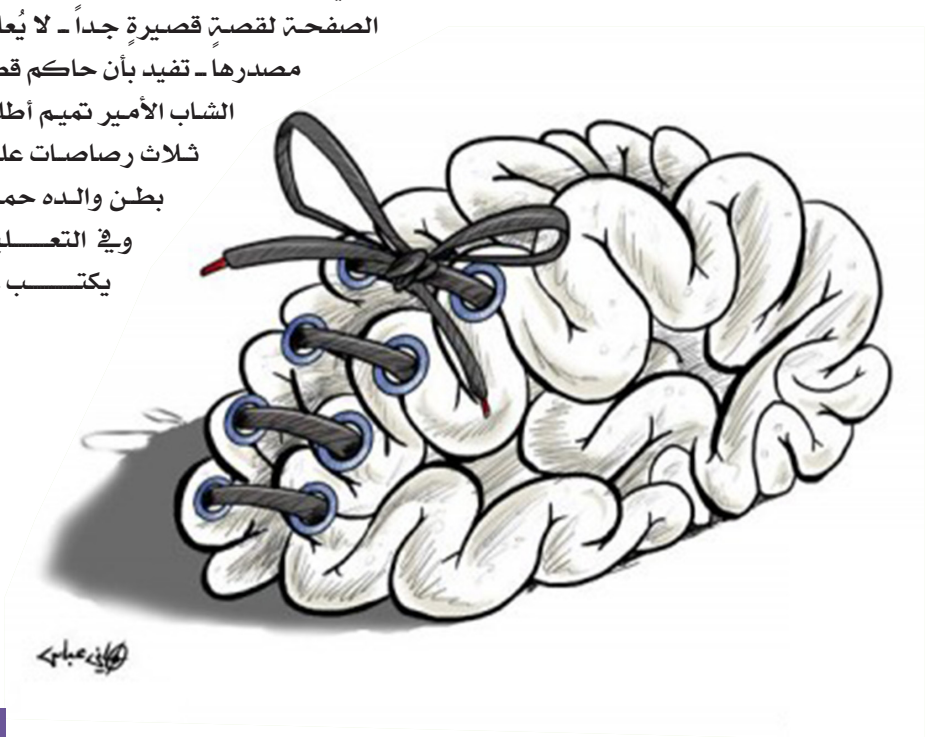

"شيلكا تحرق العراعير... وحق راس الدكتور بشار لنعلّق مشنقتُه لحمد قدّام الضريح قدّس سره".

وتظهر القصة أيضاً على صفحة رجل قرداحي أرفع تعليماً ومكانةً، هو مالك توفيق خير بيك، الذي تبدي كتاباته على صفحته الشخصية تجاهلاً كبيراً لكل ما يحدث في البلاد.

فهو ناشطٌ على الفيس بوك بجدارة، وجلّ اهتمامه بأن يظهر كنجم شاعريٍّ يقدّر المرأة ويفهمها ويطالبها دوماً أن تحبه على عيوبه.

وتوسّع شاعر الفيس بوك وخريج الكلية الحربية في نفس القصة وأضاف عليها أنه، وبحسب شاهد عيان من القصر الأميري في الدوحة، أطلق تميم النار باتجاه أبيه.

ثم أمر بحبسه لثلاثة أيام، وكذلك فعل مع وزير الخارجية السابق حمد بن جاسم، ومن دون أن يطلق عليه الرصاص!

يا شادي الأخبار.. ارحمنا!

"ماذا فعلتَ يا شادي؟ تبّت يداك يا شادي؟ ضاع عقل شادي! لم يبق لك إلا المسدس يا شادي؟!" هكذا تناقلت صفحات الشبّيحة على الفيسبوك خبر اعتداء شادي حلوة، مراسل أخبار حلب في تلفزيون النظام، على كنانة علوش، مراسلة قناة سما/ الدنيا سابقاً.

تقول كنانة، التي رفعت دعوى ضدّه، إن شادي يعامل كل المراسلين في حلب بفوقيّة وغرور ليس لهما مثيل، مستفيداً من دعم عناصر الأمن والجيش له، كونه مراسلاً للتلفزيون الرسمي. ولا يميّز لسان شادي بين شبّيح أو شبّيحة، فتراه ينهال عليهم بالشتائم والوعيد إذا فكروا بمنافسته على نقل الأخبار. حتى تفاقمت الحالة أمام القصر البلدي، فترجّل شادي من سيارته هو ومرافقته ليوسعوا الشبيحة كنانة ضرباً، ويشهروا مسدساتهم في وجهها، بعد نعتها بالساقطة.

وعلى الطرف الآخر، يدافع شادي عن موقفه قائلاً إن المشكلة بينهما شخصيّة، وإنه ابن حلب المخلص، فليس بحاجة إلى مرافقة أو أسلحة فردية عندما يتحرّك فيها. وكل ما في الأمر أنه نزل من سيارته ووضع يده على فم كنانة ليخرسها حين كانت تشتم عائلته على هذه "الخلفة النجسة"، وإن بوسع الجميع أن يسألوا عناصر الحاجز الموجود أمام القصر، ويتأكدوا من صحّة أقواله.

والجدير بالذكر أن الشبّيحة من آل علوش لن يسكتوا على فعلة ابن آل حلوة، حتى لو أن بعض الجمهور الموالي فرح للخبرية باعتبارها درساً لكنانة على زلّة لسانها، عندما قالت: "هناك مسلحون إيرانيون في حلب".

ولا بد أن الشبّيح شادي حلوة، الذي يدّعي تنقّله دون مرافقة، يذكر كيف أحرجه أحد أبناء حلب الأبطال عندما صفعه بكلاش ديريٍّ أصيل، وقال له على الهواء مباشرة: "كاذب كاذب كاذب.. الإعلام السوري كاذب".

بشار والسيسي ونوبل للسلام

في حديثه الأخير لجريدة الأخبار اللبنانية، طالب بشار الأسد أن يُمنح جائزة نوبل للسلام! ولا يعلم أحدٌ إن كان بشار قد كان مازحاً في قوله هذا، كما حاول أن يُظهر في سياق الحديث، فهذا الرجل، المولع بالظهور والثرثرة والسفر إلى الدول الغربية، يمكن له أن يتجاهل ما فعله كسفّاحٍ نموذجيٍّ وأن يحدّث نفسه بهذه الجائزة.

وفي الحديث ذاته قال بشار إنه على علاقةٍ طيبةٍ بعبد الفتاح السيسي، وإن هذه العلاقة هي أفضل حالاً بكثير من علاقته مع سابقيه مبارك ومرسي. وأكّد بأن قنوات الاتصال سياسياً وأمنياً لم تنقطع مع النظام المصري، بل بقيت مفتوحةً طوال الفترة الماضية.

وهذه الشهادة عن العلاقة مع مصر قابلة جداً للتصديق، ويبرز ذلك من خلال الإجراءات الإداريّة والقانونيّة التي ضيّقت بشدّة على حياة عشرات الآلاف من النازحين السوريين هناك.

وكذلك تبرز من خلال الحملة التي تشنها الوسائل الإعلاميّة للنظام العسكري على الثورة السوريّة، والمستمرّة منذ انقلاب السيسي وحتى اليوم. والتي وصل بها الكذب والابتذال إلى القول بأن مقاتلين من الجيش الحرّ هم من يفجّر ويطلق النار على مقرّات الأمن المصرية.

مجلة عين المدينة | نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

فيس بوك facebook.com/3aynAlmadina
تويتر twiter.com/3aynAlmadina
www.3ayn-almadina.com | info@3ayn-almadina.com

دير الزور...